1

2001

كتاب
الثقافة
كتاب ثقافي شهري يصدر عن وزارة الثقافة والسياحة

بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية

(دراسة ومختارات)

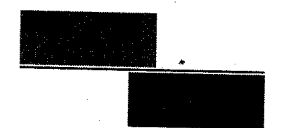
جمع وترجمة

د. حميد مطيع العواضي د. عبد اللطيف الأدهم



بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية

جمع وترجمة
د. حميد مطيع العواضي   د. عبد اللطيف الأدهم



كتاب ثقافي شهري يصدر عن وزارة الثقافة والسياحة

العنوان : "بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية"

ترجمـــة: العواضي (د. حميد مطيع)

الأدهم (د. عبداللطيف)

الطبعة الأولى: 2001م

الناشر: وزارة الثقافة والسياحة

الحجم: 16 × 20 – 185 صفحة

رقم الإيداع بدار الكتب: 19 / 2001م

التنضيد الضوئي والإخراج: مؤسسة العفيف الثقافية (عصام العواضي)

بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية

(دراسة ومختارات)

تصدير

بقلم الدكتور عبد الملك منصور
وزير الثقافة و السياحة

إن أول ما يبادر إلى ذهن القارئ هو لماذا هذه السلسلة؟ و هل ستستمر؟

و التساؤل جدير بالاهتمام من عدة وجوه. و سوف نجيب على ذلك. فنحن نريد الثقافة نمطاً كلياً لحياة شعبنا وتوجهات أفراده وما يربط بينهم من العلاقات. وهذا لن يتأتى إلاّ إذا خُلق حِرَاك ثقافي تقوم أسسه على جملة من أنشطة نشر الثقافة وتشجيعها. والواقع أن السنوات الماضية قد سمحت بنضوج تجربة العمل الثقافي حيث قامت

مؤسسات الثقافة في اليمن كل فيما يخصها بجملة من الأعمال التي كانت تصب كلها في اتجاه خلق مناخ تزدهر فيه الثقافة و يقوى عودها. والسلسلة التي نبدأها هذه السنة هي رافد جديد في نطاق مهام الوزارة ومؤسساتها. ونريد الألفية الجديدة والقرن الجديد مقرونين باتجاهات جديدة في النشر الثقافي.و هكذا نخلص في جواب السؤال الأول أن هدف إصدار السلسلة يمكن أن يُلخص بالتالي:

- إحداث حراك ثقافي في اليمن عن طريق نشر الإنتاج الفكري الذي حرم فترة كبيرة من الزمن بسبب عوائق النشر المختلفة.
- إبراز مكانة الإنتاج الفكري اليمني في نطاق حركة الفكر العربي و العالمي.
- دعم مجالات الإنتاج الفكري التي لم تجد الدعم المناسب و خاصة البحوث العلمية و الترجمة و تحقيق المخطوطات.
- المساهمة في الرفع من مستوى الجمهور المتلقي للإنتاج الفكري عن طريق تسهيل حصوله على هذا الإنتاج

بشكل منتظم و بسعر معقول مما يجعله في اتصال دائم مع جديد الإنتاج المعرفي.

- نشر وإعادة نشر الكتب اليمنية التي أثرت تأثيرا مشهودا بمسيرة الفكر .

وقد جعلنا فاتحة هذه السلسلة عمل يضرب في عمق التاريخ اليمني ويبرهن على ما كان عليه هذا الشعب من حضارة وسؤدد. و كتاب "بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية" جمعه و ترجمه ٠

الباحثان د.حميد العواضي و د. عبد اللطيف الأدهم. و بهذا نقول أنه سيكون للترجمة، والتحقيق ، والإنتاج العلمي والثقافي المتميز أهميه خاصه في نطاق هذه السلسلة.

أما الاستمرار فإننا سوف لن نألو جهدا في توفير الإمكانيات المتاحة و تذليل الصعاب التي قد تعترضُ هذه السلسلة و يبقى أن نبين أن العمل الثقافي هو عمل مشترك و نجاحه مرهون بتفاعل المتلقين معه و مساندهم إياه و بما يبذله القائمون عليه من جهد و جد.

نسأل الله التوفيق و النجاح للجميع.

تقديم

الأستاذ الدكتور: يوسف محمد عبدالله

رئيس الهيئة العامة للآثار و المخطوطات

أستاذ الآثار في جامعة صنعاء

المصادر الكلاسيكية هي المؤلفات التي وضعها الكتاب اليونان والرومان،وهم المؤرخون والجغرافيون والرحالة وغيرهم ممن عُني بأوصاف الجزيرة العربية وأخبارها في العصرين اليوناني والروماني. وقد رَسَمت تلك المعارف المتراكمة صورة تاريخية تشكلت تدريجياً حتى أضحت جزيرة العرب جزءا من اهتمام عالم حوض البحر الأبيض المتوسط

القديم كما يُلاحَظ ذلك بوضوح إبان ازدهار الإمبراطورية الرومانية.

وكان لذلك الإرث التاريخي دوره في توجيه اهتمام العلماء والرحالة الأوربيين في العصر الحديث بالجزيرة العربية وإذكاء حنينهم إلى الشرق وشوقهم إلى التعرف إليه واستكشاف أسراره. ومن أهم الأسباب التي أدت إلى سعي الكلاسيكيين الحثيث لجمع معارفهم عن جزيرة العرب هو ارتباط الجزيرة قديماً بطريقين هامين في التجارة الدولية آنذاك وهما الطريق البري عبر الجزيرة العربية والطريق البحري عبر البحر الاريتري (وهي تسمية عامة تشمل البحار المحيطة بالجزيرة :البحر الأحمر والبحر العربي والخليج) وإن كانت التسمية لفظاً ترادف التسمية الحالية للبحر الأحمر (إرترى .بمعنى أحمر). أي أنهما في الواقع الطريقان التجاريان اللذان يربطان بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط ببلدان حوض المحيط الهندي (البحر العربي على وجه الخصوص). ويمكن اعتبار كتابات المؤرخ اليوناني هيرودوت في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد أقدم ما ذكره الكلاسيكيون من معارف

عامة عن جزيرة العرب شملت الأرض (اعتبر بلاد العرب هي أقصى البلاد المعمورة في العالم باتجاه الجنوب) والسكان والأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وذكر منتجات الجزيرة والسلع التي يتجر بها أهلها مثل اللبان والمر والقرفة، وهي الطيوب والتوابل التي زاد الطلب عليها في العالم القديم ما بين نينوى في بلاد الرافدين، والكرنك في وادي النيل، وأثينا في بلاد اليونان، وخاصة لاستخدامها المتعدد في المجالات الدينية والطبية والمعاشية.

ومن الكتابات الهامة في الموضوع نفسه التي تلت عصر هيرودوت ما دونه (ثيوفراست) أحد تلاميذ أرسطو في عصر الاسكندر الكبير صاحب الفتوحات المشهورة، فقد ذكر السبئيين لأول مرة وتحدث عن اللبان والمر اللذين يأتيان من بلادهم.

وفي القرن الثالث قبل الميلاد تأتي كتابات أمين مكتبة الاسكندرية إرتوسثنيس الذي حدد فيها بلاد الشام وجزيرة العرب وسكانها بدوا وحضرا، وذكر أن من سكان جنوب الجزيرة العربية المعينيين والسبئيين والقتبانيين والحضارمة.

وفي القرن الثاني قبل الميلاد جاءت كتابات اليوناني الإسكندري أغاثرخيدس والذي توسع في وصف مناطق اللبان والمر والطيوب الأخرى ولاسيما بلاد سبأ وحياة سكانها والثروة التي يملكونها. وقد ضمن هذا الكاتب تحقيقاته في كتاب أسماه (حول البحر الاريتري) وهو غير كتاب (الطواف حول البحر الاريتري) الذي كان دليل الملاحة والتجارة البحرية في القرون الميلادية الأولى. ويتميز ما بقي من هذا الكتاب بمعلوماته المفصلة عن البلاد الواقعة في الساحلين الشرقي والغربي للبحر الأحمر. وكان لبلاد اليمن وسكانها نصيب وافر من ذلك.

ومن أهم الكتابات التي ظهرت في العصر الروماني ما دونه المؤرخ والجغرافي (استرابون) وخاصة وصفه للحملة الرومانية على جزيرة العرب والتي قادها إليوس جالوس الوالي الروماني على مصر حوالي 25/24 قبل الميلاد، وفيها يذكر عبادة أحد ملوك الأنباط و (سلي) وزيره وليس (صالح) كما قرأ اسمه بعضهم. والذي اتهمه استرابون بأنه بدلا من إرشاد الحملة قام بتضليلها. ويعتقد أن تلك الحملة الجريئة على

الجـــزيرة قـــد أخفقت واندحرت قواهـــا على أســـــوار مدينة مارب.

ومن الكتابات العامة المتعلقة بجزيرة العرب مؤلف بليـــني (القرن الأول الميلادي) المسمى (التاريخ الطبيعي) وهو كتاب موسوعي يتناول في ثناياه أحوال الجزيرة العربية وتفـــاصيل هامة عن المنتوجات التجارية وخاصة الطيوب في بلاد اليمن. ذكر مقدار ما تحتاجه الإمبراطورية الرومانية من تلك الطيوب وكانت كميات هائلة وبأسعار غالية.

ولا يمكن للمرء أن ينـــهي الحديـــث عـــن كتابـــات الكلاسيكيين حول جزيرة العرب عامة وبلاد اليمن خاصـــة دون أن يذكر الدليل الجغرافي لكلاوديوس بطليموس (القـــرن الثاني الميلادي) وقد سماه أبو محمد الحسن الهمداني (بطليموس القلوذي ،حيث خلط بين الاسم والنسبة)، وكذلك الدليـــل الملاحي للتجارة في البحر الأحمر لمؤلف مجهول عرف باســـم "كتاب الطواف حول البحر الاريتري"، ولعله قد وضـــع في القرن الأول الميلادي ثم جرى تداوله وأعيدت صياغتـــه في القرون التالية مرارا سحب تجدد المعلومات.

إن مؤلفات الكلاسيكين عن جزيرة العرب عامة وبـــلاد اليمن خاصة كثيرة وما أوردنـــاه منـــها لم يكـــن بغـــرض الاستقصاء وإنما كان يهدف إلى التذكير بأهمها. ومن نـــاقل القول أن نلفت نظر القارئ إلى أن ما وصلنـــا مـــن تلـــك الكتابات لا تعدو أن تكون نصوصا غير كاملة ونبذا متفرقـــة وفيها أسماء مصحفة ومعارف غامضة مما دعا المترجمين مـــن اللغات الأصلية والمحققين إلى بذل جـــهود مضنيـــة لتقـــويم النصوص وتقديمها بصورة مرضية. ومع ذلـــك فـــإن تلـــك النصوص هامة وتشكل مصدرا أساسيا من مصـــادر كتابـــة تاريخ العرب القديم ولاسيما تاريخ الحضارة اليمنية القديمـــة. ولهذا فإن أبرز العلماء المشتغلين بالدراسات اليمنية القديمـــة في العصر الحديث قد انطلقوا في أبحاثهم بالدرجة الأولى من تلك المصادر الكلاسيكية، مثل هرمن فون فيسمن، ووالـــترمولر، وجاكلين بيرين ،وألفردبيستن، ومكسيم رودنسون.

وربما حان الوقت لتقديم كتاب: "**بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية، دراسة ومختارات**" والذي يتضمن نقلا من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية دراسة المستشرق المعروف ماكسـيم

رودنسون وقد نقلها عن الفرنسية باقتدار الدكتـــور حميـــد العواضي. ومختارات من كتابات الكلاسيكيين عن اليمن ممثلة بنصوص من هيرودوت وديودور الصقلي واسترابون و قــــد جمعها وحققها وترجمها بدقة الدكتور عبداللطيف الأدهم.

ولا أظن أن أحدا من أهل العلم والمهتمين لا يبارك ما قام به الدكتور حميد العواضي وزميله الدكتور عبداللطيف الأدهم من جهد مفيد؛ فالقارئ العربي عامة واليمني خاصة بحاجة إلى الإطلاع على صورة بلاد اليمن في عيون اليونان والرومـــــان صانعي السناد الثقافي والعلمي للحضارة الأوربية الحديثة.

إن تلك الحضارة التي أسهمت بسخاء في مسار تاريخ بني الإنسان وأثرت فيما حولها من دوائر حضارية بما فيها بـــلاد اليمن كان لابد وأن تدون في كتاباتها طرفا من علاقاتها ببلاد اليمن وأوصافا للأرض والسكان والدولة والمجتمع والاقتصـــاد بالإضافة إلى رؤية خاصة تعكـــــس صـــورة تلـــك البـــلاد وشخصيتها في أذهان اليونان والرومان.

وبلاد اليمن كما هو معلوم من بقاع مـــهد الحضـــارة، وكانت هناك منذ فجر التاريخ مثلها مثل بلاد اليونان ومصـــر

والهند، تأثيرها فيما حولها مشهود، وتأثرها بغيرها معلوم. وقد حظيت بالذكر في مؤلفات كثير من المؤرخين والجغرافيين والرحالة. ورد ذكرها في النقوش القديمة والكتابات الكلاسيكية وكتب الأخبار والتاريخ وتقاويم البلدان وكتب الرحلات. وكان لها من ذلك نصيب وافر إذ ما قيست بغيرها من البلدان وما يجده القارئ في هذا الكتاب لخير دليل. إن المقتطفات المترجمة في هذا الكتاب لا تمثل كل ما جاء في المصادر الكلاسيكية عن اليمن ولكنها مختارات وتحقيقات دالة ترشد المهتمين إلى أهمية تلك المصادر وضرورة الاستفادة منها، خاصة وأن المترجمين قد تمكنا من تقديم المادة بلغة عربية مشرقة بعد تحقيقها وتوضيح ما غمض من العبارات والتسميات فيها .كما أن المادة قد انتقيت بعناية فمقال رودنسون هو بمثابة تلخيص للمصادر الكلاسيكية وعرض لتطور معارف الكلاسيكيين عن اليمن، وأما المختارات فهي في مجملها بمثابة "قطاع عرضي" ييسر للقارئ حسن الإلمام بالكل دون الحاجة إلى الإطلاع على كل تلك الكتابات. وإذا كان ذلك لا يغني الباحث المتخصص فإنه ولا شك يشبع فضول غيره ويسد حاجته.

ولقد عجبت لأول وهلة من عدم تضمين المختارات نصوصاً من كتاب أغاثرخيدس: "حول البحر الايتري" الذي يعد أهم المصادر الكلاسيكية وأقدمها فيما يخص اكتشافات البحر الأحمر وأقاليم في العصر البطلمي وبعد قرن من وفاة الاسكندر الكبير عام 323 قبل الميلاد، وهو الكتاب الذي يذكر سبأ وعاصمتها وحكامها وثراءها بتفصيل مثير قد لا يخلو من مبالغة حين يقول: "إن هذا الشعب (سبأ) لا يفوق في غناه وفي أصناف ترفه المتعددة العرب المجاورين فحسب وإنما سائر البشرية".

"ربما كان السبئيون أغنى الأمم.. فهم الذين يسوقون كل شيء مما غلا ثمنه بين آسيا وأوروبا، وهم الذين أثروا الجزء البطلمي من بلاد الشام بالذهب كما أوجدوا التجارة الرابحة للصناعة الفينيقية".

وعجبت لأول وهله كذلك عندما لم أجد نصوصاً من كتاب "الطواف حول البحر الاريتري" وهو الكتاب الذي لقي عناية فائقة من الدارسين رغم صغر حجمه. ومعارفه المفيدة والدقيقة حول مرافئ بلاد اليمن في البحر الأحمر

والبحر العربي قد أدهشت الكثير بعد أن تبين صحتها. وقد أتخذت شخصيا من إحدى فقرات الكتاب مثالا على صحة معلومات الكاتب، وذلك استنادا إلى قرائن وأدلة أخرى مثل النقوش اليمنية القديمة والمصادر الجغرافية والأنثروبولوجية ونشرت ذلك في دراسة بعنوان : "مدينة السوا في كتاب الطواف حول البحر الاريتري" (مجلة ريدان، عدد 5).

على أن العجب قد زال بعد أن لمست أن المختارات قد تضمنت طرفا من كتاب اغاثرخيدس وصدى لما ورد في كتاب الطواف من خلال ما جاء لدى استرابون وديودورس الصقلي. أن هذا الكتاب الذي جمع مادته وترجمه وحققه الباحثان الفاضلان جدير بالقراءة، ويستحق أن يكون في مكتبة كل الباحثين والمهتمين بمصادر تاريخ اليمن القديم وجغرافيته التاريخية.

المقدمة

عرفت بلاد اليمن في العصور القديمة في أرجاء شتى من القارة الأروبية و سواها أيضا، وأطلقت عليها عدة أسماء كان أكثرها تداولا، وعلى مدى قرون طويلة، هو العربية السعيدة. ومع ذلك، فإن هذا البلد ظل، في نفس الوقت، يشكل عنوانا لمفارقة بارزة، حيث كانت تقابل شهرته، وحضور اسمه المتزايد في تفاصيل الحياة الدينية والدنيوية لعدة حضارات، ندرة كبيرة فيما كان يتوفر حوله فعليا من معلومات. وقد أسهمت هذه المفارقة في ظهور رغبة لفك طلاسم الغموض التي كانت تحيط به، والكشف عن ألغازه وأسراره. وكانت العوامل المحركة لتلك الرغبة متنوعة ومتباينة، وجمعت بين ما كان ينطوي منها على غايات معرفية، وعلمية... وما كان

وراءه الطموح في انتزاع قسم من ثرواته وخيراته إن لم يكن معظمها.

وبتأثير قد يكون مأتاه هذا العامل أو ذاك، أبدى قدماء المؤرخين والجغرافيين وغيرهم قدرا من الاهتمام به، وحرص الكثير من أعلامهم على إعطاء حيز في مؤلفاتهم للكتابة عنه، وذلك بالاستعانة بما استطاعوا الوصول إليه من معلومات تتعلق به. لكن، وعلى الرغم من أن الظروف والمتغيرات التاريخية المختلفة قد أدت إلى فقدان الكثير من هذه المؤلفات، فإن من بين ما سلم من ذلك المصير، وإن بصورة جزئية، ما ظل يحمل في ثناياه نصوصا تتعلق بتاريخنا القديم اشتملت على معلومات لا تخلو من الفائدة على أكثر من صعيد. وكان ما ورد فيها قد استرعى انتباه الباحثين والمختصين في بلادنا وغيرها، الذين لم يكتفوا بالرجوع إليها فحسب، بل إنه كان للبعض منهم إسهامات قيمة في إغناء العديد من جوانب مضامينها، وذلك عبر ما بذلوه في دراساتهم من جهود في البحث والتقصي، وما قدموه من تحليلات وتدقيقات.

بيد أنه لا تزال هناك حاجة لجمع هذه النصوص وترجمتها

إلى العربية، على اعتبار أن هذا الإسهام الرديف سيسهل الوصول إليها، وسيساعد على جعلها في متناول شريحة واسعة من ذوي الاهتمامات المعرفية والثقافية المختلفة. وهذا ما نطمح إليه من وراء هذا العمل الذي قمنا بتوزيع محتوياته إلى قسمين: القسم الأول، وضمناه دراسة المستشرق الفرنسي ماكسيم رودنسون حول بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية، وأردنا من منطلق منحاها التلخيصي وطرحها التحليلي النقدي، أن تكون، بمثابة مدخل لتشكيل رؤية عامة حول الأبعاد الأساسية المرتبطة بهذه المصادر والاتجاهات الرئيسية لما جاء في سياقاتها. ويليه القسم الثاني، الذي خصصناه لمادة المختارات عن بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية.

و رغم الجهد إلا أن العمل لن يقف بنا هنا فسوف نحرص أن نأخذ بكل ملاحظة تردنا و ندفع بآفاق البحث في اتجاه التوسع و الشمول مع الدقة و الإحكام.

و أخيرا نزجي شكرنا و تقديرنا للأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله الذي قرأ بأناة و دقة مسودة هذا الكتاب و أفادنا ببعض ملاحظاته القيمة.

كما نشكر كل من كانت له يد في إخراج هذا العمل وتشجيعنا على إتمامه و نخص الأستاذ المربي أحمد جابر عفيف، رئيس مؤسسة العفيف الثقافية، و القاضي الفاضل علي بن أبي الرجال رئيس المركز الوطني للوثائق.

د.حميد مطيع العواضي

د. عبد اللطيف الادهم

صنعاء، يناير(كانون الثاني) 2001م

القسم الأول

بلاد اليمن

في المصادر الكلاسيكية

(دراسة)

تأليف : ماكسيم رودنسون

ترجمة : د. حميد العواضي

بلاد اليمن

في المصادر الكلاسيكية(*)

مهما كان المقاس المطلق للقيم الثقافية التي نود تبينها، فإن الثقافات الكبرى التي طبعت أوربا المطلة على البحر المتوسط في القرون التي سبقت ميلاد المسيح و لحقته، هي النواة الأساسية التي انبثقت عنها الثقافات الأوربية فيما بعد. ورغم ضياع معظم ما كتبه الإغريق والرومان فإن الصور التي

(*) العنوان الأصلي :

L'Arabie du sud chez les auteurs classiques, Maxime Rodinson, In Joseph Chelhod, L'Arabie du sud, histoire et civilisation, Tom 1, Maisonneuve et Larose, Paris, 1984, PP. 55-89.

رسمت في نطاق هاتين الثقافتين قد انتقلت إلى أولئك الذين ظل انتماؤهم إليهما. ومهما كانت أهمية التغييرات والإضافات التي جاءت بها الظروف -في البداية كان اعتناق المسيحية بشكل واسع النطاق ثم جاءت صدمات الفتوحات الإسلامية- فإن هذه الصورة ظلت حية تحت الرواسب الجديدة التي أيقظها العلماء والأدباء عندما وجدوها في أثناء قراءهم للنصوص القديمة. ففي القرن الخامس عشر الميلادي كان علماء أوربا يناقشون ومعهم الساسة ما إذا كان يمكن اعتبار الأتراك هم ورثة أحد طرفي حرب طروادة.

تطور المعرفة وتحسنها :

لقد تمكن بعض التجار والرحالة اليونانيين في مختلف الأزمنة من الوصول إلى شاطئ الجزيرة العربية، لكن لا تتشكل الصور الجماعية إلا إذا تبناها الأدب وإن كان شفويا. فالذي نعرفه عن طريق الأدب اليوناني يؤكد لنا أن معلومات الإغريق عن جزيرة العرب وعن العرب كانت في البداية غامضة مصدرها العلاقات المتينة-الحربية ولكن

السلمية أيضا، والتجارية والثقافية- التي كانت بين اليونـــان والامبراطورية الفارسية اعتبارا من القـــرن الســادس قبــل الميــلاد. وهذه المعلومات يمكن أن توضح الأشياء إلى حــد ما. فالإغريق الإيونيون والعرب (على الأقل عرب الشــمال) وجدوا أنفسهم في نطاق إمبراطورية واحدة وكـــانوا علــى اتصال في مستوى الحرفيين والفنانين والمثقفين، والحاشية الــتي تغشى بلاط الملك..

وقد كتب (سيلاكس الكــاريندي) Scyllax de Karyanda من منطقة (كاريا) Carie وهو يوناني وأحد رعايا الأمبراطورية الفارسية تقريرا عن شواطئ الجزيرة العربية، حيث كان قــد أرسله (داريوس) Darius حوالي سنة 510 ق.م لكي يكتشــف شواطئ الهند والبحر الأحمر. أما (هيكاتوس الميلينســي) Hécatée de Milet (بين 550 – 475 ق.م) فكان عليه الاســتفادة من تلك المعلومات. ففي كتابه "دائرة الأرض"، وهو مؤلــف مفقود، يذكر في بعض منه مثلا جزيرة كمران.

وقد جمع (هــيرودوت) Hérodote (حــوالي 484 – 425 ق.م)، من الكتب، ومن خلال رحلاته بعض المعلومات عــن

الجزيرة العربية. وكانت لديه عنها صورة غير واضحة كليا فهو قلما يميز بين العرب الرحل من الشمال أو الوسط الذين تهيأت له فرصة مخاطبتهم عدة مرات، وسكان جنوب الجزيرة العربية. فهو يشير إلى هؤلاء عندما يتحدث عن جزية قدرها 100 تالان (200 إلى 270 كيلو غرام) من البخور كانت تدفع إلى الإمبراطورية الفارسية. ولكن هذه الجزية يمكن أن تسلم من عرب الشمال والوسط الذين يتزودون بالبخور من بلاد اليمن. وبالتأكيد فإنه سيتكلم عن بلاد اليمن حين يعدد الطيوب التي كانت تزود بها العالم القديم، مع تفاصيل دقيقة عن الطريقة التي يجمع به السكان الأصليون هذه الطيوب ، ولكن الالتباس يظهر بوضوح حين يخلص إلى أن هذه الطيوب: "منتشرة في أنحاء بلاد العرب كأنها طيب سماوي".

و قبيل حملة الاسكندر،كان معلمه أرسطو (384322 ق.م) كما يبدو لا يعلم الكثير عن العرب وعن جزيرتهم. وهذا تغير كليا مع غزو الاسكندر للإمبراطورية الفارسية بين 334–323 ق.م. فقد وصل الاسكندر إلى السند وأرسل

أسطولا يقوده (نيارك) Néarque لاكتشاف الشاطئ الجنوبي لإيران ومن مضيق هرمز ظهر (رأس مسندم) فأراد القبطان (أونيسكريت) Onéscrite العبور والاستمرار في محاذاة الشاطئ العربي. لكن (نيارك) فرض الطريق المحاذية للساحل الإيراني. ولعل الاسكندر كان يرغب منذ طفولته بغزو جزيرة العرب وخاصة طمعا بثرائها في البخور. وكانت السفن تبنى في فينقيا وقبرص وتحمل إلى الفرات لتتجه إلى الخليج الفارسي ثم يرسلها إلى شاطئ جزيرة العرب. وعلى كل سفينة قائد، فأما (أرشياس) Archias فإنه لم يتجاوز تايلوس Yylos (جزيرة البحرين). في حين ذهب (اندروستن التاسوسي) Androsthène de Thasos بعيدا، ثم (هيرون السولوي) Hiéron de Soloi الذي وصل إلى المحيط الهندي وحاول إرضاء الفاتح دون أن يجرؤ على إكمال الرحلة حتى السويس. وقد سجل (اندروستن) ذكرياته في كتابه.

أما العلم الهلنتسي الذي تلتقي فيه معارف الشرق وأعمال المفكرين والباحثين الإغريق فإنه قد حقق قفزة إلى الأمام في المعرفة الجغرافية والإثنوغرافية وفي مستويات أخرى،

وقد جمع علماء تلك الفترة أولا المعلومات عن بلاد العرب التي نلقها إليهم رفاق الاسكندر، وأضافوا إليها رويدا رويدا معلومات كان من شأنها التطوير الواسع للتجارة البعيدة وخاصة عن طريق تقارير ورحلات البحارة المصريين والأنباط. وهكذا تشكلت صورة جغرافية أكثر دقة عن بلاد العرب وارتكزت على معلومات دقيقة حول بلاد اليمن بعيدة عن الحكايات الأسطورية المنتشرة في الماضي.

وإذا كان قد أحرز تقدم سريع، فليس مؤكدا أن (بلايفاتوس العبدوسي) Palaiphatos d'Abydos التلميذ الشاب المقرب إلى أرسطو قد كتب فعلا كتاب الجزيرة العربية لكنه خلف الفيلسوف الموسوعي (ثيوفراست الإيروسي) Théophraste d'Eresos في إدارة المدرسة حوالي (372–288ق.م.)، وفي مؤلفه الكبير حول النباتات قد أمكنه، فيما يخص طيوب بلاد اليمن، (البخور، والمر، والكافور)، أن يعطى إيضاحات دقيقة حول طريقة جمعها، ومحيطها الجغرافي، وبلدانها الأربع التي توجد فيها (سبأ، حضرموت، قتبان، (ومامالي) أو مالي (كذا).

ويذكر (ثيوفراست) صراحة أن مصادره هي تقارير البحارة الذين ذهبوا إلى برزخ السويس. أما فيما يخص شرق الجزيرة فقد قرأ ما كتبه (اندروستن).

ففي عهد (ثيوفراست) حوالي سنة 300 ق.م. أرسل ملك مقدونيا واليونان (كاسكندر) Cassandre "أحد المفكرين" باتجاه البحر الأحمر وما بعده، هو (يوهيمروس المسيني)Euhemeros de Messine الذي دامت شهرته بفضل نظريته في التأويل التاريخي للأساطير و هو تأويل عرف بـ"اليوهيمروسية" évhémérisme [1] وليس عجيبا أن تقود هذه الحملة عالم الأساطير إلى جرز تقع على سواحل بلاد اليمن. ففي الكتاب الذي نشره عند عودته والذي صرنا نعرف عنه أجزاء بجد، لأول مرة، ذكر العربية السعيدة (أو بالأحرى الغنية أو الموسرة). يصف بها أجمل جزء من بلاد العرب وهو جزء

(1) نسبة إلى الكاتب اليوناني يوهيمروس evhémère (ت. في نهاية القرن الثالث ق.م) وفي رأيه أن الآلهة الأسطورية هي ملوك لحقب قديمة وقع تاليها إما لخوف الشعوب منها أو لإعجابها بها وهذا التفسير العقلاني قد أفضى إلى نظرية عرفت باليوهيمروسية. (المترجم).

مخصب تنتشر فيه المباني الجميلة ومن الجزر يذكر (حـيره) أي "المقدسة" وفيها وفره من البخور والمر أما "بانخيـا" وتشـبه الفردوس، فإنها تمثل أقدم نموذج معروف للمدينة المنشـودة على غرار جزيرة واق الواق.

وفي القرن الثالث قبل الميلاد ازدادت معارفنا عن هـذه المنطقة كما ازدادت عن غيرها. ولكن كانت بلاد العـرب متميزة من هذه الناحية. فبالرغم من أن المركـز الرئيسـي للنشاط العلمي، من جهة، كان في مصر تحت التأثير الإغريقي وحكم الملوك البطالمه، إلا أن الجغرافيا حازت نصيبا كبـيرا واهتمت بالجزيرة العربية اهتماما خاصا. ومن جهة أخـرى فان السياسة الاقتصادية النشطة جدا لهؤلاء الملوك حملتـهم على اتخاذ الإجراءات الممكنة من أجل تطوير التجارة انطلاقا من سواحل البحر الأحمر باتجاه شرق أفريقيا وبلاد العـرب والهند. فتأسست الموانئ على الشواطئ العربيـة والأفريقيـة للبحر الأحمر، وأعيد فتح قناة النيل إلى خليـج السـويس، وتيسرت الرحلات الاستطلاعية البحرية بعد ذلك ربما بفضل اكتشاف ظاهرة الأمطار الموسمية وتنظم التجـارة وتبـادل

السفراء. وكان المصريون يذهبون إلى سوريا وفلسطين للبحث عن الطيوب التي يجلبها إليها التجار العرب. وكان تجار من بلاد اليمن يأتون للتجارة في مصر من أمثال (زيد إل) ZYD'L. ربما يكون معينيا،وكان يعقد صفقات كبيرة مع قساوسة مصر وحنط في (الفيوم) أو في (ممفيس)، ووهب تابوته إلى (سارابيس) Sarapis وإلى آلهة مصر. وقد حفر النقش المعيني في أعلاه وأرخ سنة اثنتين وعشرين من عصر بطليموس TL MYT بن بطليموس.

كل هذه المعارف الجديدة سجلت في أهم مراكز البحث والتعليم والتي تطورت في العالم الهلنسي،و أهمها بالتحديد هو مركز الإسكندرية. وبعد (ثيوفراست) بنصف قرن تقريبا تولى (ايراتوستن السيريني) Eratosthene de Cyrene (ت نحو 195)، وهو أحد كبار العلماء، منصبا هاما هو مدير المكتبة الكبرى للإسكندرية، وهو الذي وفر معلومات مفصلة عن بلاد اليمن وفقا لمصادر أحدث، تضمنها مؤلفه الجغرافي الكبير الذي فقد، والذي لم يبق منه سوى بعض النتف، وكانت بلاد العرب كاملة تعرف لديه بالعربية السعيدة.

ولكنه كان يدرك أن الجزء الشمالي صحـــــراوي ويســـكنه أعراب يعيشون على ظهور الجمال وتحت الخيـــــام وكـــان الجنوب فقط هو الذي يستحق النعت الجميل المشار إليه آنفا، لأنه خصب وله غطاء نباتي وافر وتسكنه أربعة شـــــعوب[2] هامة تتوزع على أربع مقاطعات مختلفة المعينيون، الســـبئيون، القتبانيون (الذي ينتجون البخور) والحضارمة (الذين ينتجــون المر) . أما العواصم فهي على الترتيب (قرناو، مارب، تمنـــع، وشبوة). وفي هذه الدولة الثرية فإن خليفة الملك ليس ابنــــه. وإنما أول أبناء أحد الأعيان ممن ولد بعد تنصيبه ملكا والذي يقع تبنيه وتربيته كولي للعهد. وكانت الطيوب تباع للتجــار الذين يأتون في قوافل من أيلانا (ايلات) إلى بلاد معين؟ في 70 يوما وربما في (جرها)[3] على الخليج الفارســـي في 40 يومــــا (نص غير مؤكد ربما المقصود هو آخذ القوافل إلى مســـافات أطول).

---

(2) و الشعب في اللغة اليمنية القديمة هي القبيلة الكبيرة المستقرة. (د.يوسف محمد عبد الله)

(3) ربما كان المقصود مدينة (هجر) التي اشتهرت قبل الإسلام و بعده . و قد قيل في المثل: لا يحمل التمر إلى هجر. و محلها اليوم مدينة الهفوف. (د. يوسف محمد عبد الله).

وبعد (ايراتوستن) ببضعة عقود، أي حـــوالي منتصـــف القرن الثاني، فأن عالما آخر مثله عرف بولائه لأفكار ارســطو هو (اغاثرخيدس الكندوسي) Agatharchide de Cnide. ويبدو أنه الأول الذي كتب -بطريقة أمينة- كتابا خاصا حول البقــاع المطلة على البحر الاريتري أي البحر الأحمر والمحيط الهنـــدي إلى جانب كتب حول جغرافية آسيا وأوربا و تاريخيهما.

وربما كان (اغاثرخيدس) هو الكاتب الـــذي أســـهمت كتابته عن الجزيرة العربية في تحديد ملامح صورة كان ينبغـي أن تدوم عبر القرون. لقد خص الجزء الجنوبي مـــن الجزيـــرة باسم العربية السعيدة. والشعب السبئي في نظره هـــو أهـــم شعوب شبه الجزيرة، وغناه كان واسعا. لقد كان يعتمـــد في عيشه على منتجات وافرة من الثروة الحيوانية وعلى زراعـــة أنواع من النباتات العطرة. حتى أن روائحها الزكية تســـبب الآلام، ولذلك يكافحونها بإشعالها بخورا. وليس ثمة أنـــواع أخرى من الخشب. والسكان هم من المحاربين، والفلاحـــين، والبحارة التجار، الذين يصدرون بالخصوص بعض الطيـــوب التي يجمعونها ويستعملون غالبا عوامات كبـــيرة وقـــوارب

جلدية، والبعض منهم يعيش في بطالة وتكاسل بفضل ما هم عليه من رغد العيش. وهذا الثراء الكبير مصدره دخل تجارهم وبعدهم الذي جعلهم في منأى عن الغزوات والنهب. أما زينة مساكنهم وأثاثها ومواعينهم المحلاة بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، فإنها بديعة فاخرة . والعاصمة هي سبأ وتقع على ربوة جميلة ويتوارث ملوكها الحكم ويتمتعون بسلطة كبيرة غير أن كاهنا يمنعهم من مغادرة قصورهم بتهديدهم بالموت رجما.

ونلاحظ أن كل سكان جنوب الجزيرة العربية يعتبرون بكل بساطة سبئيين ولا يمكننا أن نعرف إلى أي مدى ينم هذا عن التفوق الحقيقي لدولة سبأ. ولا يعرف (أغاثرخيدس) عن غيرهم سوى سكان (جرها) والذين لا يقلون عنهم ثراء، والجزر السعيدة (ربما سقطرة) حيث كل الماشية بيضاء وليس للإناث قرون، وفيها يرسوا التجار المتجهون إلى الهند وفارس. أما المعينيون (ربما الذين استوطنوا الحجاز) والجرهيون وعرب آخرون فقد كانوا ينقلون منتجات طيوب هم حتى بلد الأنباط وفلسطين.

إن مؤلف (اغاثرخيدس) قد كثر استعماله ونسخه كتاب آخرون ونقلوا فحواه إلى جمهور واسع جدا. وفي نهاية القرن الثاني والقرن الثالث قبل الميلاد استعمله (ارتيميدور الافيسى) Artémidore d'Ephese وهو مصنف في الجغرافيا الكونية. وكذلك استعمله المؤرخ الكبير (ديودور الصقلي)Diodore de Sicile . ويبدو أن نصوص (ارتيميدور) قد استعملها وناقشها أكبر العلماء والفلاسفة (بوزيدونيوس الأبامي) Poseidonios d'Apamée (ولد نحو 135 وتوفي نحو 50 ق.م) وكان له تأثير مشهود. وتحدث عن جزيرة العرب في مؤلف جغرافي كبير لكنه مفقود بعنوان "وصف المحيط" ويبدو أن هذا الكتاب هو المصدر الأساسي المدون لدي (استرابون الأماسي) Strabon d'Amasia (ولد نحو 63 ق.م وتوفي بعد سنة 20م) والذي وقفنا على مصنفه الجغرافي الهام كاملا خلافا لغيره. وقد احتفظ لنا باقتباسات طويلة عن كتاب سابقين.

ربما أن جزءا كبيرا من تأثير هذه النصوص قد تبناها هذا الكاتب أو ذاك، فصارت الجزيرة العربية موضوعا لمؤلفات خاصة في القرن الأول قبل الميلاد. ففي النصف الأول من

ذلك القرن يمكن الحديث عن (تكروس السـيزي)Teukros de Cyzique ، الذي لم نجد سوى تعليق ببليوغرافي يفيد بأنه ألـف خمسة كتب عن الجزيرة العربية، فإذا استبعدنا (بلايفـاتوس) (انظر سابقا)، فإنه يستحق أن يسـمي أول "المسـتعربين". وعالم آخر بالجزيرة العربية اقترب من موضوع دراسـتها في نهاية القرن الأول هو (اسيدور الشاراكسي) Isidore de Charax وأصله من الميناء الذي أسسه الاسكندر في أقصـى الخليـج الفارسي. ولكنه على وجه الخصوص كان يعرف كما يبـدو المنطقة الشرقية للجزيرة العربية فقد تحدث عن اصطياد اللؤلؤ، وامتداد العمر بملك عربي من عمان وهي منطقة فيها طيوب . ولكن قلما نعرف أكثر مما كان بإمكانه أن يقول عن جزيـرة العرب وسكانها وقد نسخ (ديودور الصقلـي) في "تـاريخ الكون" في تلك الحقبة نـص (اغاثـرخيدس) وربمـا أضاف عليه بعض المعلـومات التي اقتبسها من مصـادر أخـرى وهو ما ليس مؤكدا.

أن توحيد البلدان المطلة على البحر المتوسـط وأوربـا الغربية وآسيا العليا في نطاق دولة واحدة هي الإمبراطوريـة

الرومانية، واحتياج هذه الدولة للطيوب التي يقتضيها أحد الطقوس المنتشرة، وتلبية لرفاه الطبقات المهيمنة، قد ولد من جديد مشاريع الغزو التي راودت الاسكندر وللأسباب نفسها وهي ضمان السيطرة المطلقة على هذا المنتج الثمين والمربح. فبين عامي 205 و 206 ركب الملك السلوقي [4] (أنطيوخس الثالث) Antiochos III . البحر في اتجاه مهاجمة (جرها) وجزيرة تايلوس (البحرين) وذلك في طريق عودته من غزو إيران الشرقية.

وتقع (جرها) في مكان ما على اليابسة قبالة جزيرة البحرين وكانت مدينة تجارية يهيمن منها التجار على الطريق البري باتجاه الأنباط و بلاد اليمن، وكذلك على الطرق البحرية في الخليج الفارسي، ويصلون حتى (ديلوس) Délos من

(4) السلوقيون عائلة هلنستية مالكة حكمت بين 312 – 64 ق.م الجزء الآسيوي من إمبراطورية الاسكندر الأكبر. وكانت الإمبراطورية السلوقية تمتد من السند حتى البحر= = المتوسط. وتقلصت حتى انحصرت في بلاد الشام وحدها وضمت بعد ذلك إلى الإمبراطورية الرومانية نحو 64 ق.م . و قد أنهكتها الحروب السورية ضد الأتاليين والأنتيغونيين . و قد عرف ملوكها باسم سلوقس أو أنطيوخس و عرفوا بملوك سوريا. وقد أسس سلوقس الأول أنطاكية سنة 300 ق.م. و نقل إليها العاصمة من سلوقية في دجلة. (المترجم).

جهة، وربما حتى الهند من جهة أخرى. وكـــانت تجـــارة الطيوب أحد أهم الموارد التي تجمع في مخازنها، وقـــد أدرك (أنطيوخس) صعوبة الاحتفاظ بسيطرة دائمة وضمان خطوط اتصال منتظمة مع هذا المركز التجاري الـــذي تحـــف بـــه الصحراء ، فحصل الجرهيون على اعتراف باستقلالهم الدائـــم ومغادرة الملك لها مقابل نقود معدنيـــة كثيرة وكمية كبـــيرة من البخور والمر.

أما (أغسطس) Auguste فإنه قد تبنى مشروعا أوســـع لا يهدف إلى السيطرة على مركز تجاري مثل (جرهـــا) وإنمـــا المناطق المنتجة للطيوب نفسها. وفي مطلع إنشـــاء النظـــام الامبراطوري، كان يعد لغزو بلاد اليمن وذلك بتنظيم حملـــة هامة بقيادة حاكم مصر (أليوس غاليوس) C. Aelius Gallus وبمشاركة جنود من مملكة الأنباط العربية. ومملكة (هـــيرود) Hérode اليهودية. وكان على هذه الحملة من عـــام 24–25 ق.م أن تصل كما يبدو إلى مدينة مارب المحصنة. والتي يبدو أنها لم تعد العاصمة. وفشلت الحملة إذ أعياهـــا طـــول الترحـــال ومشقته في الصحراء، وقلة الماء، وراودها الشك في خيانـــة

وزير نبطي قـــوي هـــو (ســـيلايوس) Syllaios (بالارامية شلي) Shullay الذي كان برفقة الحملـــة. وتخلـــى (أليـــوس غاليوس) عن هدف الوصول إلى منطقة الطيـــوب ، وعـــاد أدراجه. ورغم هذا الفشل، فإن الذي يبقى هو أن جيشا قويا من البحر المتوسط قد تمكن من التغلغل في قلـــب الجزيـــرة العربية ولاحظ البـــلاد وعاداتهـــا وتقاليدهـــا. و لم يفـــت (أغسطس) من تمجيد هذه الحملة في نقش يلخص فيه حصيلة انتصارات ملكه. ونتج عن ذلك عودة الاهتمـــام بـــالجزيرة العربية حيث اختلطت، رغـــم خيبـــة الأمـــل، لوحـــات (اغاثرخيدس) المدهشة بالمعلومات البسيطة جدا التي جـــاءت بها الحملة أو جمعت من مصادر أخرى.

حتى أن (أليوس غاليوس) نفسه قد قـــدم عـــددا مـــن المعلومات إلى صديقه (ايراتوستن استرابون) الذي لم يقيـــد سوى بعضها. والمعلومات الأخرى مصدرها العالم الملك (يوبا الثاني) Juba II من موريتانيا (حكم من 25 ق.م إلى 23 أو 24م) في جملة ما كتب عن جزيرة العرب وأهداهـــا إلى (قـــايوس قيصر) Caius Caesar حفيد (أغسطس) وابنه بالتبني الذي "كان

مشغوفا بصيت جزيرة العرب". وربما كان الإهداء وصياغة الكتاب من وحي مشروع حملة أخرى باتجاه الشرق أسندها الملك الجد في السنة الميلادية الأولى إلى الأمير الشاب الذي كان عمره حوالي عشرين سنة. لكن الحملة كانت موجهة إلى أرمينيا على الأقل في البداية واكتفي (قايوس قيصر) كأقصى حد في رؤية سهوب الجزيرة العربية في الشام وباتجاه (شاراكس) قبل أن توافيه المنية من جراء جراح أصابه في أرمينيا في السنة الميلادية الرابعة.

ليس نشاط (يوبا الثاني) والتطلع الشديد الذي أبداه (قايوس قيصر) سوى مظاهر خاصة لاستمرار الاهتمام العام بالجزيرة العربية في عصر (أغسطس). وكان الشعراء هم المروجون دعائيا للنظام الجديد وخاصة (فرجيل) Virgile و (هوراس) Horace . فالأول الذي سبق أن وجد فرصة للحديث عن بخور سبأ وحياة الخمول التي كان يضفيها على "المترفين السبئيين"، وضع لاحقا في الإنياذة(5) العرب

(5) الإنياذة: قصيدة فرجيل (71 – 19 ق.م) ألفها في 12 نشيدا في الفترة من (29 –19 ق.م) وهي ملحمة تحكي تأسيس روما. (المترجم)

والسبئيين ضمن الأعداء الذين على الرومان محاربتهم. ويـرى في أن السبئيين بطريقة شبه مؤكدة وأن الهنود حلفاء لـ "كليو بترا" الفارة إلى "اكتيوم"(6). والحق أنه يضفي على المعركة ضدهم قيمة رمزية لمحاربة الشرق. وأكثر منه وضوحا واهتماما كان (هوارس) فقد كان يحلم بثروات العرب. ففي أثناء الترتيب لحملة (غـاليوس) طلب من إلاه الأقدار (فورتون) Fortune ، أن يحمي جيوش الإمبراطور ويمسح عنها عار السلاح الملطخ أثناء الحروب الأهلية بدم الشعوب النائية في أقاصي الأرض وهي بريطانيا (العظمى) والبحر الأحمر. ولكن في أحد الأناشيد الشهيرة يسخر بخفة من (اكسيوس) Iccius الذي، في سبيل الثراء، يتخلى عن الدروس الفلسفية و"يطمع في كنوز العرب الوافرة" و "يعد حملة قوية ضد ملوك سبأ الذين لم يغلبوا حتى الآن" والتطلع إلى ثروة ضخمة ليس مدعاة إلى هذا العناء وركوب الأخطار في حملات كهذه.

---

(6) اكتيوم : صخرة شاهقة في مدخل مينا امراسيا القديم الإغريقي المعروف اليوم بميناء أرطة. (المترجم)

ورغم الفشل، فإن الإعداد للحمـــلات قـــد ضـــاعف الاهتمام والبحث. فقد حمل (آليوس غاليوس) عــــددا مـــن المعلومات الجديدة. وأخذت سياسة جديدة تبرز وإجـــراءات تتخذ من أجل تطوير التجارة مع بلدان البحر الأحمر وتلـــك التي تفتح الطريق إلى شرق أفريقيا والهند. وكان (اســـترابون) قد تحدث عن الأساطيل الكبيرة التي تمخر عباب البحر الأحمر في اتجاه الهند مميزا لها عن بعض السفن التي كانت تبحـــر في عهد البطالمه. ومنذ مطلع النظام الإمبراطوري هذا فإن الطريق من (قبط) Coptos إلى (ميوس هرمـــوس) Myoshormos علـــى الشاطئ المصري من البحر الأحمر كانت قد نظمـــت علـــى أساس وجود مساكن في مراحل السفر وآبـــار وصـــهاريج وحراسات، وكان (أغسطس) يستقبل غالبا سفارات هندية . ففي(اريكامدو) Arikamedu بـــالقرب مـــن (بوندیشـــيري) Pondichéry وجد إناء فخاري مصنوع منذ العام الثلاثين قبـــل الميلاد.

وأدرجت المعلومات الجديدة في نطاق ملخصات أعدهـــا (ستـــرابون) ثم من بعده بنصف قـــرن (بليني الأكـــبر) Pline

(23 أو 24–79م). فقد تمكنا من الحصول على كتاب متأخر (ليوبا الثاني) وربما –وإن كان الشك كبيرا– حازا على مؤلفات أكثر طرافة ترجع إلى تلك الحقبة. ويرجع بعض العلماء إلى تلك الحقبة مؤلف "الجزيرة العربية" لشخص يدعى (اورانيوس) Ouranios . ويبدو مؤكدا أنه واحد من العرب الأنباط، أو على الأقل عاش في جهات مملكة الأنباط . وكانت لديه معلومات جيدة عن شمال الجزيرة العربية وجنوبها وفقا لما أمدتنا بها نتف من مؤلفه. ولكن الأحرى إرجاع هذا التاريخ إلى فترة متأخرة. لقد أشرنا إلى المؤلف التاريخي الجغرافي الذي ناقش ضمن مواضيع أخرى، حملة (غاليوس) وهو مؤلف يبدو أنه حرره ابن المؤرخ الشهير (تيت ليف) Tite Live في أوائل سنوات الميلاد. غير أن مضمون هذا المؤلف ووجوده هو افتراض قاعدته هشة إلى حد كبير.

وعلى كل حال فإن (استرابون)، و (بليني الأكبر) في مؤلفه "التاريخ الطبيعي"، وهو مصنف موسوعي مطول، قد سجلا كثيرا من المعلومات. وأي كان مصدرها، ففيها للمرة

الأولى يسجل (استرابون) شكوكا حول المصدر الأصلي لكل الطيوب التي تصدر من بلاد اليمن، ويتطـــرق إلى المنطقـــة الزراعية التي تعرف بمواطن الطيـــــوب (أرومـــاتوفوروس) Aromatoforos حيث تزرع الكثير من هذه النباتـــات الـــتي لم يستطع (أليوس غاليوس) الوصول إليها. لكن الرأي الســـائد عمم هذا الاسم الجميل على كامل جزيرة العرب، في حـــين أن الأمر يخص ازدهار منطقة محدودة كانت حديثة إلى حـــد ما. وقد تحدث عن تقسيم آخر إلى خمس فئات أو مجموعـات اجتماعية كل منها مختص بممارسة نشاط ما، وتتوزع بالتوالي على المحاربين، والمزراعين، والحرفيين، ومنتجي المر والبخـــور. والفئتان الأخيرتان، تنتجان أيضا السنا والكافور والـنود nard. وأنماط الحياة ليست محل تبادل بين الفئات المذكورة، ويبـــدو أن الانتماء الفئوي كان يورث. وهذا المؤشر الغريب -والذي لا يستبعد معه نوع من وحدة كامل المنطقـــة لأن المحـــاربين يدافعون عن الجميع- أتى من مصدر لم يحسن فهمه أو أنـــه اعتبر التقسيم المهني المتوارث إلى حد ما تقسيما إقليمـــا. إن "العرب السعداء" يشربون النبيذ، خاصة نبيذ التمور، والأخوة

أكثر حظوة من الأبناء، والملك والقضاء يورثان إلى الأكبر سنا في الذرية. وفي نطاق هذه الذرية رغم سلطة الأكبر سنا، فإن الأموال تكون مشتركة. وكانت تمارس ظاهرة تعدد الأزواج لكن الخيانة الزوجية (خارج أواصر النسب) كان عقابها الموت. في حين أن نكاح المحارم مثل الأم كان جائزا (7).

وقد استطاع (بليني الأكبر) -انطلاقا من معلومات (غاليوس) وقد ذكر ذلك صراحة- أن يميز بين مجموعة من الأعراق وخصائصها. فالحميريون هم الأكثر عددا. ولدى السبئيين غابات غنية بالأشجار العطرة، ومناجم للذهب، وحقول مروية، وعسل وشمع. أما المعينيون فلهم نخيل مثمر وأشجار ضخمة، ولهم ثروة حيوانية أما (السربانيون) و

(7) يتسأل الكاتب في الهامش ما إذا كان موضوع تعدد الأزواج هو مجرد أسطورة مقلوبة تخيلها البعض في جهة ما في مدينة تهيمن فيها النساء أو العبيد ربما اختاروا جزيرة العرب ضمن اختيارات أخرى. ويمكن أن نضيف أن الأدلة غير متوفرة لتبنى مثل هذا الطرح وتنزيله مكانا وزمانا. كما أن نكاح المحارم أمر مستحيل وفي سياق منظومة من القيم تعاقب على الخيانة الزوجية و بالتالي لن ترضى بما هو أشد منها فحشا. (المترجم).

(الاجريون) -ربما من الشمال- والحضارمة فيتميزون خاصة بالحرب. أما (الكاريون) فلهم حقول واسعة وخصبة. ويضيف هذا الموسوعي الروماني تفاصيل من مصادر أخرى سجلها في أوراق وأخذها عن مؤلفات غدا بعضها في حكم القديم. ويخلط بين أسماء قبائل وشعوب الجزيرة العربية دون أي ترتيب. ونعلم منه أن موطن القبائل السبئية يمتد بين بحرين (البحر الأحمر والمحيط الهندي). وأن منهم مجموعة بدوية تعيش تحت الخيام وتهيمن على بعض الجزر. وأن عاصمة سبأ هي مارب. ثم يعدد القتبانيين والجبانيين الذين لهم عدة مدن منها (ناجيا) و (تمنع) والتي لها 65 معبدا تشهد بسعة أرجائها. ولا يمكن تصدير البخور سوى عن طريق بلاد (الجبانيين) بمقابل ضريبة تدفع إلى ملكهم. ويقطع هذا البخور الطريق بين تمنع وغزة على ظهور الجمال مسافة 65 مرحلة وتدفع من أجله المكوس المختلفة التي يصل مجموعها إلى 688 دنيرا. وأحتل الحضارمة منطقة سبئية وكانت عاصمتهم (شبوة) التي تقع على جبل شاهق والتي تضم بداخلها 60 معبدا. وإلى هذه المدينة كان يحمل محصول البخور على ظهور الجمال، وعند

اجتياز بوابة الدخول الوحيدة المخصصة لهذا الغرض يـــأخذ الكهنة عشر المنتج وكانت عاصمة الحميرين هي المصنعة [8].

وكان (بلينيي الأكبر) غالبا ما يتحدث عن شمال الجزيـرة العربية وجنوبها وفضلا عن الوصف الجغرافي والقوائم العديدة لأسماء الأماكن، ووصفه المطول للنباتات العطرة في بلاد اليمن خاصة، فإنه يذكر معلومات وظواهر في جزيرة العرب وذلك في سياق عروضه الجغرافيـــة والانثربولوجيـــة، والنباتيـــة، والطبيعية، والصيدلانية والمعدنية. ونجد لديه أغنى المعلومـــات التي جاءت إلينا منذ القـــدم. ويبـــدو أن المصـــدر المباشـــر والرئيسي هو (يوبا). أما نوعية المعلومات المطروحـــة فإنهـــا متفاوتة، وكانت أحيانا ممتازة كما تدل على ذلك بوضـــوح مسألة ذكر كلمتين دقيقتين من لغة بلاد اليمـــن تشـــير إلى موسمي الحصاد السنوي للبخور حســـب الموســـم ومكـــان الزراعة.

---

(8) في الأصل Massala وقد قربنا النطق إلى مصنعة وهو اللفظ الذي يعني باللغـــة اليمنيـــة القديمة المدينة المحصنة وبه سميت عدة مدن، وهو نعت للمدن صار اسما لبعضها (أنظـر الموسوعة اليمنية، مادة المصنعة) . كما أن بين اللام و النون علاقة تبادل موضعـــي في مثل هذه النصوص فيقال مالي و ماني أي معينين و العين قد لا تنطق . (المترجم).

ويعد (بلينيي الأكبر) أهم من جمع المعلومات ، على الأقل التي وصلتنا. ومع هذا فإن المعلومات استمرت في التدفق رويدا رويدا ذلك أنه في الثلث الأخير للقرن الأول والنصف الثاني للقرن الثاني ، يبدو إن تجارة الإمبراطورية الرومانية مع الهند ازدادت نموا وكثرت الرحلات في الاتجاهين وفي عهد (ديون كريسوستوم) Dion Chrysostome (نحو 40 – 120م) كان هناك كثير من الهنود والعرب في شوارع الإسكندرية. وقد مكن ضم (تراجان) Trajan لمملكة الأنباط سنة 106م وغزو بلاد ما بين النهرين في عهد الإمبراطور نفسه من اقتراب رعايا الإمبراطورية الرومانية من جنوب الجزيرة العربية. وفي مرات محدودة على الأقل، فإن الأساطيل الرومانية كانت تجوب البحر الأحمر في حين أن المنشآت الكبرى كانت قائمة في مصر من أجل تسهيل الاقتراب من موانئ الإبحار.

ونصوص تلك الفترة هي في الغالب مخيبة للظن؛ لأن مؤلفيها قلما بحثوا عن المعلومة الجديدة. وفي حوالي منتصف القرن الأول فإن (بونبونيوس مـلا) Pomponius Mela وهو جغرافي أسباني مر سريعا على بلاد اليمن وشمال جزيرة

العرب، وسجل وصفا موجزا لسكانها (باللغة اللاتينية) وفي بداية القرن الثاني فإن شاعرا تعليميا إغريقيا هو (دنبس) Denys أو يقال له (بريجت) Periégète كتب قصيدة جغرافية طويلة تصور العالم المأهول. واكتفى فيما يخص الجزيرة العربية أن ينظم شعرا ما ذكره (اغاثرخيدس) و(ارتيميدور) و(بوزيدنيوس). ويعمم دون تمحيص ما دون هؤلاء الكتاب من أوصاف فردوسية على كامل جزيرة العرب. ولابد من الإشارة أن خمسة وثلاثين بيتا شعريا له ظلت شائعة بين الناس وبقيت مرجعا مدة ألف عام على الأقل. والنص وإن صحفة النساخ فقد ترجمه إلى اللاتينية شعرا (رفبوس فستوس افينوس) Rufius Restus Avienus في حوالي منتصف القرن الرابع للميلاد ثم ترجمة (بريسين) Priscien في بداية القرن السادس وقام بترجمته أيضا في القرن الثاني عشر (أو ستأث الثيوسالونكي) Eustathe de Thessalonique ورأى ضروريا التعليق على نص (دونيس) بحواشي نحوية مع إضافة بعض الإشلوات المقتبسة من ارسطو، وهيردوت، وبعض الكتاب القدماء.

إن مؤلفا مثل (سولن) Solin من القرن الثالث يعد مثالا للمؤلفين الذين ما أنفكوا ينسخون من الكتاب القدماء. غير أنه لا ينبغي الاستخلاص أن المعارف لم تتحسن، ذلك أنه فضلا عن أهم التيارات الأدبية فإن شواهد نادرة تنم عن إضافات أخرى قد توافرت. فها هو ذا نص آخر تحير الباحثون في تاريخه طويلا بعنوان "الطواف حول البحر الاريتري" . وهو عبارة عن دليل للتاجر الذي يستعمل الخط البحري انطلاقا من الشواطئ المصرية للبحر الأحمر حتى شرق افريقيا، والهند، وماليزيا، والصين. ويقدم إشارات وجيزة عن مسار الملاحة ومحطات التوقف ومعلومات دقيقة عن البضائع المصدرة والمستوردة من كل ميناء، وبعض الملاحظات النادرة عن الوضع السياسي الذي يواجهه التاجر في هذه الموانئ والذي قد يؤثر على تجارته. يبدو أن الملاحظات لا تخص تاجرا بحارا سجلها على إثر عودته كما جرى الاعتقاد لزمن طويل، ولكنه تأليف (ألا يكون تقريرا رسميا؟) فيه ملاحظات تتعلق بفترات زمنية مختلفة بين نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني وربما بداية القرن الثالث. وتوضح التواريخ المختلفة التي

تظهر في مقاطع متعددة أن كاتب هذه الرحلة، أو كتابها، ذو ذهنية عملية فليس فيها أي حبكة قصصية خيالية. فالمعلومات التي تسردها واضحة ومفيدة لا شيء يذكر بغموض ما كتبه (بليني الأكبر) وإشاراتها لا تخص سوى الساحل، وقد تمتد إلى أبعد من ذلك باتجاه الشرق لتشمل خاصة الساحل الجنوبي من الجزيرة العربية وتعكس هذه الإشارات وضعا متغيرا. إن (بليني الأكبر) لا يعرف سوى الملاحة اليونانية - الرومانية نحو الهند والتجارة العربية للطيوب من موزع (القريبة من المخا حاليا). و كان السكان الأصليون ينقلون الجزء الأكبر من منتوج الطيوب نحو الإمبراطورية الرومانية بواسطة القوافل . أما كتاب "الطواف حول البحر الاريتري" فإنه يتحدث عن تصدير الطيوب من موانئ بلاد اليمن المطلة على البحر الأحمر والمحيط الهندي. وهذه الطيوب يشتريها، على الأقل جزئيا، في هذه المواقع تجار يونانيون - رومانيون لم يعد يهتمون بالتجارة حصرا مع الهند. فالبخور كان حكرا على دولة حضرموت وكان الموظفون الملكيون هم الذين يبيعونه إلى التجار البحارة. وقد حدث تحول حين انتزع التجار

اليونانيون - الرومانيون على الأقل جزئيا احتكـــار تجـــارة الطيوب من أبناء بلاد اليمن.

وإلى نفس الحقبة الزمنية يرجع، وإن جزئيا، المؤلف الكبير الذي كتبه الجغرافي (بطليموس). ولكن إذا كان هذا الجغرافي الفلكي الشـــهير في حـــوالي منتصـــف القـــرن الثـــاني في الإسكندرية، فإن مؤلفه كما يبدو كان ثمرة لسلسلة طويلـــة من التعديلات معظمها حدثت بعد وفاته. إن كثـــيرا مـــن الإخباريين قد استعملوه وأضافوا كثيرا من المعلومات وخاصة عن مراحل سير القوافل. وهكذا صارت الجزيرة العربية ضمن شبكة من خطوط الطول والعرض محسوبة رياضيا. فـــالمدن والقرى والجزر والقيعان المعزولة والجبال والأنهـــار محـــددة تحديدا جيدا ، مما يمكن من إعداد خريطة واضحة. ففي بلاد اليمن، وخاصة في بعض المناطق الساحلية، حددت موانـــئ التجارة أو الأسواق البرية والموانئ العادية والمراسي، وذكرت أسماء الشعوب التي تقطن الساحل، والأنحاء الداخليـــة مـــن البلاد. ويبدو أن جزيرة العرب كانت تزدان بمواطن وصفت بكونها "مواطن ملكية" وهي ربما مدن رئيسية لأراض قبلية.

في حين أن المواطن الأخرى نعتت بكونها "المدينة الرئيسية". أما الإشارة الوحيدة الخاصة بالمنتجات فتشير طبيعيا إلى الطيوب. وكانت مناطق هذه الطيوب مقسمة إلى منطقة داخلية لزراعة المر يبدو أنها كانت تقع وسط شبه الجزيرة العربية، ومنطقة خارجية لزراعة المر أيضا يبدو أنها في جهة حضرموت، وكذلك منطقة البخور في جهة عمان.

وبعد هذا الكم من المعلومات المفيدة التي تراكمت وسجلها (بليني الأكبر) وكتاب "الطواف حول البحر الاريتري" وبطليموس، قلما عدنا نصادف أي محاولات أخرى إلى نهاية الحضارة القديمة. والحق أنه ربما يرجع كتاب "الجزيرة العربية" الذي ألفه (أورانيوس)،إلى هذه الفترة الغامضة، وكان الجزء الثالث منه مكرسا للعربية الجنوبية، وإن بدا تاريخا سابقا هو 106م أكثر صوابا.وألف أحدهم ويدعى (غلوكوس)Glaukos في عهد (ترجان) أو بعد ذلك كتابا عن "أثار العرب"في أربعة مجلدات ولا تحتوى النتف الصغيرة منه التي بقيت على شيء عن العربية الجنوبية.

وكان الجمهور المثقف لا يرى حاجة لتجديد أو لتوسيع ذلك الإسهام المعرفي، فالصور التي انطبعت في الماضي على عهد (اغاثرخيدس) استمرت دون أن تتمكن المعلومات الأكثر دقة التي تراكمت والتي تتناقض جزئيا مع هذه الصور من زعزعتها،حتى أن (بطليموس) نفسه قد ركن إليها في مصطلحاته حين اعتبر العربية السعيدة هي جزيرة العرب كلها ما عدا المناطق النبطية والصحراء بين سوريا والعراق. واستمر الالتباس حول العربية السعيدة يسرى مع الإعجاب بها وتتسع دائرة التسمية نحو الشمال.

ويدفع (لوسيان الساموسي) Lucien de Samosate (حوالي 120–180م) بهذا التوسع حتى مدينة حيرابوليس Hierapolis (منج) في أعالي الفرات. وحين يتحدث مؤرخون لاحقون عن حروب (بارتس سبتم سفر) Parthes de Septime Severe حوالي 195 – 200م التي حارب خلالها الإمبراطور عرب بلاد الرافدين (وخاصة مملكة الحضر (هترا) وشعوب أخرى فإنهم لا يترددون في الحديث عن تدمير العربية السعيدة ويشيرون بالمناسبة إلى أعشابها العطرية الشهيرة. وبنفس

الطريقة يتم الإيضاح أنه من 217 – 218م نجح الإمبراطور (ماكرن) Macrin الذي حكم فقط لبضعة شهور بين أنطاكية وأعالي بلاد الرافدين في محاربة العرب المدعوين بالسعداء.

وفي نحو منتصف القرن الثالث على ما يبدو، أن راوية سوريا هو (هليو دور) Héliodore قد جعل مسرح أحداث روايته في الغرام والمغامرة في المملكة الأثيوبية (ميروى) Méroe في عهد كانت فيه مصر إقليما فارسيا (في القرن الرابع قبل الميلاد). وقد أظهر لنا سفراء من العربية السعيدة يقدمون هدية إلى الملك الأثيوبي (هيداسب) Hydaspe "نباتات عطرية من القرفة والكافور وعطور أخرى تنتجها شبه جزيرة العرب، وكان ثمة كمية كبيرة من كل نوع حتى أن شذاها فاح في الأرجاء المجاورة" ويبدو واضحا أنه من جراء هذا الوصف الروائي تولد الذكر المتكرر لسفراء بلاد اليمن لدى المؤرخين الملخصين الذين جاءوا في الفترات التالية، والذين

أرجعوا ذلك إلى سنة 274م مع انتصارات (أورليان) Aurélien [9] على عرب الشمال وشعوب عديدة أخرى.

المعرفة والأساطير الوثنية:

قبل الانطلاق من الثورة العقائدية التي أفضت إلى تمسح الإمبراطورية، فإنه ينبغي العودة إلى الصورة التي كانت لدى الإغريق والرومان عن بلاد اليمن في العهد الوثني. لقد ركزنا حتى الآن على تطور المعلومات التي دبجتها أساطير السكان الأصليين ببعض المبالغة ونقلوها بطريقة تدل على اهتمامهم بها غالبا، وحملها الرحالة وزينوها أيضا وفقا لميول لا يقاوم صار مضربا للمثل.

ولكن وبشكل أوسع، فإن تصور المناطق الكبرى من العالم ،الذي كانت معظم أجزائه مجهولة، كانت تقوم دوما في نطاق من التصورات الأسطورية للكون. وانضافت إلى

(9) هو الإمبراطور الروماني (لوسيوس دومينيوس أورليانوس) Lucius Domitius Aurelianus (214 – 275م) حكم في الفترة 270 – 275م وانتصر على ملكة تدمر (زنوبيا) عام 273م ووحد الإمبراطورية الرومانية وبنى جدارا حول روما مازال قائما. (المترجم).

الأسطورة معلومات حقيقية حملها الرحالة فغيرت هذه المعلومات الأسطورة باندماجها فيها وإثرائها. وبالمقابل فإن الأفكار المرتبطة بالمعرفة الوضعية لم يكن بمقدورها هي أيضا التخلص من الوقوع تحت تأثير الأساطير التي ما انفكت هذه الأفكار تجتهد في مطاردها.

ولهذا السبب فإن الصورة -أو الصور- التي كانت لدى الإغريق والرومان عن بلاد اليمن يمكن أن تميز بتحليلها إلى مجموعتين من السمات التي تختلط بنسب متفاوتة حسب الأماكن والحقب. فمن جهة، فإن جزيرة العرب هي بلد فعلا وأن كانت بعيدة وحولها نشأ تقليد علمي منذ (هيكاتوس الميلنيسي) الذي انهمك في جمع المعلومات الموضوعية، والجغرافية، والاقتصادية، والانثربولوجية،والتاريخية والحيوانية والنباتية، وكانت مدرسة ارسطو متميزة في هذا البحث العلمي المحض الذي أسهمت فيه أيضا أجهزة الاستخبارات لأغراض عسكرية وكذلك التجار البحارة المتشبثون بتطوير الملاحة البحرية المثمرة إلى أقصى حد.

ولكن من جهة أخرى فإن جزيرة العرب التي كانت في البداية هي أقصى بلد يمكن التعرف عليه في اتجاه الجنوب هي ذات سمات أسطورية. يقول (هيرودوت): "إن المناطق النائية من الأرض العامرة قد نالها نصيب ما من كل ما هو أشد جمالا".

والجزيرة العربية هي البلد الذي تهيمن فيها الشمس ومن الطبيعي أن الحرارة الشديدة تنضج فيها ثمار بديعة، وليس غريبا بعد ذلك أن تحدد فيها مواقع إنتاج هذه الطيوب التي نعرف أن مصدرها النهائي هو هنا. زد على هذا أنه كان من مصلحة المنتجين والتجار تأكيد هذه الفكرة. والحال أن هذه الطيوب التي استتب استعمالها في اليونان نحو نهاية القرن السابع قبل الميلاد كانت تقوم بثلاث وظائف: وظيفة للتتبيل وأخرى ثقافية وثالثة جنسية. وكانت لها أهمية كبرى برزت عند ازدهار الحكايات الأسطورية التي تواترت على عدة مستويات. منذ (هيرودوت) على الأقل، مثلما رأينا، فإن حكايات أسطورية تحف بطريقة سكان الجزيرة العربية في جني الطيوب. وسميت هذه المنطقة المتميزة العربية السعيدة، أي ذات الرخاء والغناء ومنحتها الطبيعة أنهارها.

إن المعلومات الجديدة قد مكنت من معرفة أن هذه الطيوب تأتي فقط من المنطقة الجنوبية للجزيرة العربية وأمكنها، وإن مع تدبيج البيانات الدقيقة بتفاصيل خرافية، أن تحدد البنية السياسية لسلوكيات هذه المنطقة المتميزة والخاصة، مع التركيز الدائم على تفاصيل جني الطيوب . وفي نهاية المطاف لم يقع التخلي كليا عن توسيع خصوصية هذه المنطقة المزروعة بالطيوب لتشمل كامل الجزيرة العربية، رغم كل ما عرف في الآن نفسه عن الخصائص القاحلة لبقية أنحاء الجزيرة العربية.

حتى أنه قد تم تحديد جزر أسطورية إلى الطرف الجنوبي من هذه المنطقة وذلك قد يكون اعتمادا على معلومات عن سقطرة، المعروفة بالسنسكريتية[10] (ديفبا سخطرى) Dvipa Sukhatara أي الجزيرة السعيدة، أو معلومات عن (ماسيرا) Masira وهي جزر مجاورة ، أو عما هو أبعد منها مثل سيلان،

(10) يرى بعض العلماء أن الاسم من أصل يمني و نسبته إلى قبيلة ذي سكرد التي ذكرتها النقوش اليمنية القديمة في تلك المنطقة (انظر د. يوسف محمد عبدالله مادة سقطرة في الموسوعة اليمنية) (المترجم)

والهند وشرق أفريقيا. غير أن هذه المعلومات قد جسمتها الحكايات الأسطورية التي يرجع أصلها إلى حضارة ما قبل الهلينستية،و إلى حكايات مختلفة المصادر منها الحكايات المصرية حول عجائب (بونت) Pount. وهي جزيرة سحرية في "حكاية الغريق" Conte du Naufragé وإلى الأساطير العربية عن الفردوس (وجنات عدن لا تحمل مصادفة اسم مدينة عدن فهذه المدينة نعتتها النصوص الإغريقية بالعربية السعيدة بأتم معنى الكلمة)[11]، ولا ينبغي أن ننسى الأساطير حول الجزر العجيبة التي تنوع موقعها هنا وهناك، ولكن خصائصها تنطبق على هذه المنطقة السعيدة كغيرها ونجد كذلك حكايات حول جني الطيوب وتفاصيل عجيبة في جزيرة (بنخيا) Pankhaia التي وصفها (يوهوميروس) وظل أسمها فترة طويلة

---

(11) إن رواية يهوة عن أصل الإنسان (سفر التكوين 2:4 ب-25) التي يمكن أنها كتبت حوالي القرن التاسع، حتى الثامن قبل الميلاد، تحدد بشكل غير دقيق جنة عدن في "الشرق" (سفر التكوين 2:8) ومنها يخرج نهر ينقسم إلى أربعة فروع. ويسمى الفرع الأول بيشون Pishon وهو ما يذكر بأسماء أنهار العربية (وادي بيش، وادي فيشان) ويلتف هذا الفرع حول بلدة حويله Hawilah وهي تقع بالتأكيد في بلاد اليمن حسب سفر التكوين 10:29. وربما أنها خولان. إن كلمة عدن تشير إلى فكرة السعادة،= =والهناء،و الرفاه، ويبدو أن هذه الحديقة الفردوسية تقع في بلاد اليمن حسب مؤلف كتاب جوبيلا Jubile في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد.

معروفا وحدد (اغاثرخيدس) موقع هذه "الجزر السعيدة" على شواطئ الجزيرة العربية.

إن العربية السعيدة، التي عرفت إلى حد ما بلفظة جزيرة العرب، قد اختيرت طبيعيا لتكون موضعا مميزا لتأليه النور. ففي حوالي 405 ق.م. يقدم (يوريبيد) Euripide (ديونيسوس) Dionysos على المسرح في مطلع مسرحية (الباشانتات) Bacchantes خلال عودته من رحلة سار خلالها في العربية السعيدة ضمن بلدان أخرى من آسيا. وقد حدد موطن الإله منذ زمن في موضع عرف باسم Nysa (نيسا)، ربما أنه تصحيف الاسم علم فقد معناه، ولما كانت نيسا من أصل أجنبي فإنها حددت في مناطق عديدة. فنشيد (ديونيسوس)، وهو من القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا يحدد موضع (نيسا) بكونها في جبل مرتفع تغطيه الغابات فيما بعد فينيقية، على مقربة من نهر مصر. لربما كانت إشارة (هيرودوت) قد أثرت؛ حيث أنه في حوالي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد اعتبر أن الإله الذكر الوحيد لعرب الشمال (إلى جانب الإله عليلات أو اللات Alilat الشبيه بيورانيا Ourania)

هو (اوروتالت) Orotalt المكافئ (لديونيسوس) وقد حكى (ديوردور) فيما بعد، بطريقة (ايفهيمر)[12] حياة (ديونيسوس) الشبيه بـ (أسيريس) Orisis واستشهد بالنشيد المذكور الذي يحدد مكان (نيسا) في العربية السعيدة قرب مصر . وفي بضع سطور تلت اعتبرها مصرية. أما عدو (ديونيسوس) منذ الإلياذة فهو ملك (ثراس) Thrace (ليكورغوس) Lycurgue الذي أعتبره (انتيماخوس الكلفوني) Antimakhos de Colophon في القرن الخامس قبل الميلاد، ملكا على الجزيرة العربية.

ونتيجة لاعتبار مكان (ديونيسوس) نفسه في الجزيرة العربية فإن نقوشا إغريقية أكدت لنا بعد ذلك بفترة أن إلها هو (ليكورغوس) كان يعبد في منطقة (حوران).ويبدو من المؤكد أن الأمر أيضا يخص العدو اللدود(لديونيسوس) وقد نقل إلى مكان غريب ويمكن جدا اعتبار أنه شبه بالإله العربي (شيع القوم). والواقع أنه يبدو أن هذا الأخير كان ينظر إليه باعتباره سببا للتحريم الديني والعرفي للنبيذ في مناطق

---

(12) أنظر هامش رقم (1) .

مختلفة من الجزيرة العربية. وندرك أنه في الفـــترات الأخـــيرة للوثنية فإن (نونوس دو بانوبوليس) Nonnos de Panopolis وهــــو يوناني مصري يحدد الجزيرة العربيــــة كموضـــع للمعــــارك الحماسية بين (ديونيسوس) و (ليكورغوس).

أما العنقاء فمهما كان أصل أسطورتها، فهي طائر عجيب وهي كائن شمسي في الأصل. ومنذ أقدم الشواهد اليونانيـــــة ذكرت مرتبطة ب الطيوب أي بالجزيرة العربية. لقد كـــانت هذه الأسطورة هي حكاية يونانية كيفتها الأساطير المصرية في مركز عبادة الشمس في (هيليوبوليس)Héliopolis أو هي مجـــرد تحوير هلنستي لهذه الأساطير.فالحكاية على كل حال تجعــــل غالبا المكان الأصلي ومكان الإقامة الدائم لهـــذا الكـــائن في الجزيرة العربية. وهذا ما يذكــــره قساوســـة (هليوبوليـــس) لــــ(هيرودوت). إنهم يوضحون له أن الطائر ينقــــل حـــتى معبدهم جثة أبيه مكفنة وعليها المر. إن الكثير من المحســـنات قد دخلت على الحكاية إما لإطالتها أو لتمـــيز دقائقـــها أو لتطويرها أو لتبادل أدوار رموزها.إن طيوبا أخرى قد اعتبرت عربية أيضا ستأتي لتنضاف إلى المر ، لكي تشكل طعام هـــذا

الطائر أو الحطب الذي يفنى فيه. وبعد ذلك وقع تحديد موقع هذا الطائر بالهند، بلد آخر للشمس فيها أثر فعال وتنمو فيها الطيوب . ولكن ليس من المستبعد كما سنرى أن يكون الأمر هنا مقصود به أيضا الجزيرة العربية.

وإذا كانت الطيوب قد ارتبطت بالعنقاء، فإنه قد نتج عنها تشكل مباشر لأساطير وقعت أحداثها طبيعيا في الجزيرة العربية. فلدى الإغريق كانت الطيوب العربية تلقى في نار القرابين لتصل الآلهة وهذا يشير إلى أسطورة "رأسية" يصعد أحد الطيور نحو الشمس. وهذه الطيوب كانت تحفز على الاتصال الجنسي، وكانت تستعمل كذلك في طقوس الزواج بطريقة معتدلة ومقننة، وهذا أفضى إلى أسطورة "أفقية" تربط المر بقواعد الاتصال الجنسي. هذا على الأقل هو التفسير الدقيق حسب البنيوي (مارسل داتين) Marcel Datienne. الواقع أن أسطورة إغريقية تظهر لنا (ميرها) Myrrha أو (سميرنا) Smyrna –وهما شكلان إغريقيان لكلمة المر– كشابة، ابنة لملك سوريا (ثياس) Theias أو للملك (كنيراس) Kinyras ملك قبرص الأول، وهو من أصل فينقي.

فقد أحست (ميرها) بشوق عـــارم لأبيـــها. ثم نجحـــت في مخادعته وأمضت معه عدة ليالي. فلما أردك الأب ذلك،أصابه الهلع عندما عرف هوية شريكته وتملكه الذعر أمام انتـــهاك المحارم هذا. فطاردها بغية قتلها وبيده سكين وفرت كئيبـــة تتوسل الآلهة التي أشفقت عليه وحولتها إلى شـــجرة مـــر. وكانت الدموع التي تذرفها ندما هي ما تقطر الشجرة. ولمـــا صارت (ميرها) حاملا عانت كثيرا من هذا الحمل بســـبب قشرة الشـــجرة، ولا تحدث الولادة إلا بعون سمـــلوي (أو أن الأب يشق الشجرة بسيفه). وتكون ثمرة هذا الفعل المحرم هـــو الإله الجميل (أدونيس) Adonis ، الذي يؤكد أسمـــه الأصـــل الفينيقي وانتمائه إلى منطقة الشرق الأوســـط ، وإن كـــانت أسطورته ترتب بطريقة مختلفة في اليونان.

وفي جميع الحالات فإن بلاد اليمن تمثل جزيـــرة العـــرب كاملة بل والشرق الأوسط وتشكل مكان أحداث الأسطورة في كثير من رواياتها. أما الشاعر الروماني (أوفيد) Ovide فإنـــه يظهر (ميرها) وهي فارة عبر بستان للنخيل العربي وتمـــر في

حقول (بانشيا) Panchaia [13] وتتوقف أخيرا في أراضي سبأ. فهل تطورت هذه الحكاية في اليونان كليا وهل استعملت عناصر شرقية في ذلك؟ ليس بوسعنا معرفة ذلك، ولكن يمكن ملاحظة أن ارتباط (أدونيس) بـ(ميرها) لا يوجد في أي حكاية أسطورية أخرى حيث يلد (أدونيس) من امرأة (كنيراس) الشرعية.

التقارب اليهودي المسيحي :

إن الدولة الهيلينية (اليونانية) ومن بعدها الإمبراطورية الرومانية قد أدمجتا ما سمي بالشعوب "البربرية" التي تبنت إلى حد معين طوعا أو كرها السمات الثقافية والقيم الأساسية للحضارة الهلنستية التي كانت مهيمنة ثقافيا، مما أفضى إلى مؤالفة ثقافية جديدة لكل منها. إن التاريخ المؤدلج فيما بعد قد جعلنا نعرف فقط التأليف والتركيبات بفروقها الكثيرة

(13) ربما يشير إلى بانياس في سوريا و التي عرفت عند اليونان بـ"بانيون" و عرفها الرومان بقيصرية فيليبس أو قيسارية . و تقع في سفح جبل الشيخ قرب نبع بانياس أحد روافد نهر الأردن. أو ربما فينقيا أو موضع منها. (المترجم)

لدى أحد هذه الشعوب وهم اليهود. فهؤلاء لديهم ما يقولون عن بلاد اليمن ويستندون إليه ورواياتهم التي تضرب في جذور الماضي، وهي أشد بعدا مما لدى الإغريق وتمتاز بقربها الجغرافي فهم قد جمعوا بين هذين الطرفين فهما. أما المسيحيون فإنهم رغم تبرمهم من أصولهم اليهودية ولكن باعتبار مرجعيتهم هي نفس النصوص المقدسة، فإنهم يقتفون أثر اليهود.

فنصوص العهد القديم تنطوي على مراجع تتعلق بسكان المنطقة وبالعربية الجنوبية، ولكن جزءا كبيرا منها صار غامضا فالعلاقات القديمة بين قدماء شعب إسرائيل وهذه المنطقة كانت قد نسيت على أثر التحولات العميقة التي انجرت عن زعزعة الإمبراطوريات، وكان ينبغي إعادة تأويل تلك النصوص على ضوء معارف العصر وتصوراته. وهذا أفضى طبيعيا إلى أنواع من التهاون والاختلال.

إن ضروب إعادة التأويل هذه قد عرفتنا عليها الترجمة السبعينية اليونانية الشهيرة للعهد القديم وهو مؤلف ليهود الإسكندرية من القرن الثالث والثاني قبل الميلاد. وقد ظهر

بلد وشعب سبأ عدة مرات في النص العبري في أشكال (شبا) و (سبا). أما الموقع فلم يكن واضحا فسبأ هو ابن (كـــوش Kush) مباشرة في شجرة الأنساب القديمة في ســـفر التكويـــن الذي يزعم أنه يتحدث عن العلاقات مع الشعوب التي عرفتها إسرائيل وتشير علاقة النسب إلى أثيوبيا (السودان حاليـــا) في أفريقيا، أما أنساب شبا فإنها باتجاه بـــلاد اليمـــن أو شمالهـــا والمقصود بهم شعب من التجار وأحيانا هم نهابون، وينظمون قوافل الجمال التي تحمل الذهب والبخور والأحجار الثمينـــة والعبيد. والغالب أن مترجمي الإسكندرية قد عرفوا مملكة سبأ ومحيطها الجغرافي. ففـــي إحـــدى الإضافـــات إلى "قـــانون القساوسة" يبدو أنها ترجع إلى طبقة اتباع (يهوه)، تعتبر هـــذه الإضافة أن شعوب بلاد اليمن(ومنهم سبا) والعربية الشـــمالية من أحفاد زواج إبراهيم بامرأة غير معروفة هـــي (قطـــوراه) Qeturah أي المعطرة ، وهي كناية عن بلاد البخور وتعـــرف سبأ لدى اليونان بـــ(شبأ). أما (قطوراه) فإنه يبقى اسم علـــم غير معروف ، ربما (ختورة) Khettoura . وينصرف الذهـــن إلى سبأ عند الحديث عن ملكة سبأ التي زارت سليمان، وحملـــت

له على ظهور الجمال الذهب و الطيوب والأحجار الكريمة. وقد قام أحد مترجمي كتاب المزامير لمزيد الإفهام بترجمة شبا "الجزيرة العربية" أو "العرب".

ويعتقد مترجمو الإسكندرية أنهم قد وقفوا في النصوص العبرية على مفاهيم جغرافية كانت معروفة لديهم، فالمعينيون (المفرد لديهم معينوس) كانوا يتمتعون ببعض المكانة لدى المترجمين في فترة زمنية متأخرة ممن ترجموا كتاب الحوليات[14] Chroniques وكتاب (جوب)[15] Job . فثمة اسم غامض لقبيلة في أقصى جنوب فلسطين، وقد تكون اسما عاما، تشير حسب شكلها إلى المعينيين عند مترجم الحوليات في حين أن القبيلة تبدو مرتبطة بشاميي فلسطين لما قبل الإسرائيليين. ومن جراء هذه الترجمة وقع استبدال الامونيين المذكورين في الآيات المجاورة بالمعينين. أما مترجم كتاب (جوب) فإن اهتمامه بفحوى ومآل هذه الحكاية المثيرة قد

---

(14) كتاب الحوليات هو مؤلف ديني يهودي مقسم إلى جزأين 350 و 300 ق.م. ويحكي التاريخ اليهودي في التشرد حتى الاستيلاء على القدس سنة 587 ق.م.

(15) شخصية في كتاب ديني حمل نفس الاسم وحرر في القرن الخامس ق.م وهو كتاب في الشعر الشرقي يدور حول مشاكل الشر.

دفعه إلى إضافة ملحق إلى النص يعطي تفاصيل حول (جوب) ونسبه وقرابته وأصدقائه. وقد أقتبس ذلك من مؤلف أرامي غير معروف. وهذا المؤلف صور (جوب) كمثال لرجل عادل غير إسرائيلي فهو ملك (آدومي) متزوج من امرأة عربية تمثلا بالملك (يوباب) Yobab ملك (ادوم) Edom في سفر التكوين . وقد حدد مغامرته في (آدومة) Idumée وذكر أصدقاءه الذين رفعهم إلى درجة الملك ممن كانوا يحكمون بلدانا من نفس المنطقة فا "اليفاز" Eliphaz كان ملكا على (تيمن) Theiman التي تحدد نصوص الإنجيل موقعها في هذه الجهات، وإن كان المأثور اليهودي لما بعد الإنجيل قد أشار في ذلك إلى اليمن. أما ظفار فتدعي في النص العبري (نعماتي) وهو ما يحدد موقعها في مكان مجهول عرف باسم (نعما). ويميل المفسر نحو بلاد اليمن وذلك لارتباط أسماء الشخصيات في المنطقة بحاضرها. وعلى كل حال فإن قلب الحروف (نعم. معن) يمكن أن يحدد هنا المعينيين.

إن الخلط بين (شبا) و (سبأ) والأماكن المختلفة التي تحدد موقعها أمام قراء القرن الأول كتب الأنساب الإنجيلية

قد دفعت (فلافيوس يوسف) Flavius Josèphe أن يجعل الـــتي خاطبت الملك سليمان ملكة مصرية أو أثيوبية. وكان معروفا في تلك الفترة كما يبدو أن توسيع نطاق اسم الهند والهنود قد حمل الكاتب نفسه أن يجعل أبناء (يقظان) (سفر التكون 10 ، 25 وما بعدها) -وهم ممثلو قبائل ومناطق في بلاد اليمن منـــها (شبأ) و (أوفير)- من الهند "عند نهر كوفن" (وهو نهر كابول المتدفق في بلاد السند) أي في ما يعرف حاليـــا بأفغانســـتان وباكستان في الشمال الغربي.

وما بقي لنا من الكتابات اليهودية في القرون الأخيرة قبل الميلاد التي ظلت في نطاق اليهودية والمسيحية لم يعد يمثـــــل أهمية كبيرة للمعرفة الجغرافية والإثنوغرافية. فهذا النمط مـــن الكتابات يتجه كثيرا للحديث عن الأقدار الدينية والسياسـية. وخاصة النوع المسمى haggadique تلك التي ارتبطت به المقاطع المتعلقة بيوسف التي أشرنا إليها آنفا. والسؤال هل أنه أحيانـا يتم تحديد المواقع و الأشخاص التي ذكرها الإنجيل بـــالرجوع إلى تصورات العصر؟ إن المؤلفات التي تصف نهايـــة العـــالم عندما تكون مضطرة لتحديد حدثها في نطاق لوحة عامــــة

للكون تغرق المعلومات القليلة والمفيدة التي تستمدها من العلم اليوناني في إطار وصف للكون أشد قدما. والواقع أنه يمكن أن نجد مثل هذا الوصف للثقافة اليونانية لدى كتاب مثل (هوميروس) Homère و (هيسيود) Hésiode ولكنه يرجع إلى التصورات السومرية والبابلية وفي جزء منه إلى التصورات المصرية. وكلها ترتبط بالأساطير الفينيقية - الكنعانية التي أخذها الإغريق القدماء وكذلك العبريون ولأنه في مثل كل هذه التصورات القديمة ينبغي أن يخصص مكان لراحلة الموتى السعداء في بقع تتنوع حسب المأثور ويشار إليها غالبا بجنة الدنيا. ففي سفر التكوين هي جنة "عدن" في هذه الأماكن الأسطورية تحدد دوما مواقع أشجار وأزهار أو ثمار عجيبة، فظروف تلك الفترة في هذه الأماكن كانت مواتية لنمو أشجار الطيوب التي تقطع أحيانا.

وقد حررت في الوسط اليهودي نصوص بشأن شخصية أسطورية ترجع إلى ما قبل التاريخ هو البطريق (أنوخ) Hénoch وهو جد أعلى لنوح وزادت جملة سفر التكوين الغامضة هذه النصوص إثارة وخيالا: "كان يسير مع الإله ثم توارى لأن

الرب اختطفه" (سفر التكوين – 5 : 24) إن انتحالا غير متناسق لهذه النصوص في أزمنة مختلفة يشكل كتاب "المزيف" Apocryphe لأنوخ الذي تذكره "رسالة القديس يهوذا" Epitre de saint Jude والذي أحتفظ به لنا كاملا المأثور المسيحي الأثيوبي وأدمجه في كتاب تعليماته. في هذه النصوص تتكشف الرغبة في معرفة العالم وظواهر الكون ويظهر فيه صدى خليط من الإيضاحات التي لها صلة بالعلم مع تصورات أسطورية محضة وتحتوي هذه النصوص على روايتين لرحلة (أنوخ) إلى أقاصي الأرض ومثوى المتوفين وترجعان حتى القرن الثالث ق.م. وإحدى الروايتين تتجه به إلى الشرق الأقصى (ف 17–19). والأخرى وبعد رحلة في نفس الاتجاه تحمل البطريق إلى مركز العالم القدس (ق 21 – 36). ومنها يتوجه نحو الشرق ويعبر جبال صحراوية وبها واحات عليها أشجار القرفة المعطرة ، وبعد ذلك يعبر جبالا مزروعة دوما بأشجار الطيوب –منها تلك الطيوب التي تقطف وتحمل وتنتج غالبا في بلاد اليمن– ثم يصل إلى بحر ارتيريا (أي المحيط الهندي بخليجية أي البحر الأحمر والخليج العربي) ويعبر هذا

المحيط (وربما منطقة مظلمة)، ثم يصل إلى "فردوس العـــدل" وهو فردوس مزروع بأجمل الأشجار المعطرة ومنها شـــجرة الحكمة.

والواقع أن الطيوب التي ارتبطت ببلاد اليمـــن كـــانت معروفة في الشرق القديم ولكن يبدو أن تطور المعارف الدقيقة المتعلقة بموضوعها وشهرتها كفردوس لها، كان أمرا معروفـــا لدى الإغريق والرومان. وقد أثرت مـــن ناحيـــة وجودهـــا وتحديد أنواعها الزينة النباتية لمثوى السعداء أو المراحل الـــتي تقـــود إليـــها وفقا لتصورات العالم لدى يهود القـــرن الأول قبل الميلاد.

إن غموض تحديد الأماكن الأسطورية لمناطق الطيـوب ، الذي ربما ترافق مع أثر تقدم المعارف الجغرافية وكشفها عـــن الأصل غير العربي الجنوبي لعدد من الطيوب ، قد يكون ممـــا دعم تراجع الاهتمام ببلاد اليمن.فلدى مســـيحي القـــرون الأولى فإن مكانة المأثور القديم ومأثور الإنجيل قد حافظا على بعض مواقعها في هذه المناطق. إن مجوس الشرق الذين جـاءوا لتقديم الولاء إلى الطفل عيسى وحملوا لـــه البخـــور والمـــر

والذهب (متى 2 : 11) قد يكونوا من الجزيرة العربية حسب قصيدة المدح التي كتبها الشهير (جوستين) Justin[16] سنة 150م وهذا التحديد له هدف تقريظي يرمي إلى الإثبات للحاخام (تريفون) Tryphon أن الوسيط الروحي لعيسى Esaie تحت مسمى عمانويل Emmanuel لا يمكن أن ينطبق على المسيح وعلى بعثة المجوس إلى مهده. وهذا تم بعد التلاعب بالنص حيث وقع إدخال خفي للآيات 8 : 4 في وسط الآية 7 : 16 واعتبار موطن النبي في دمشق هو الجزيرة العربية وهو ما يعذر عليه. أي أن هذا الفيلسوف الرواقي الذي نالته الرعاية المسيحية قد تأثر بالنصوص الكلاسيكية حول أصل بلاد المر والبخور.

وبعد ما يقارب خمسين سنة أعاد (ترتوليان) Tertullien ما ذكره (جوستين) وأضاف إليه آيتين من المزامير حول الذين قدموا الذهب من ملوك سبأ إلى الملك المبشر به في إسرائيل. والمقصود بهم مجوس "شبه ملوك" وهكذا احتفظت طيوب

(16) القديس جوستين هو فيلسوف مسيحي ولد في السامرة حوالي عام 100م وتوفي حوالي 165م وله كتابا "التقريظ" وكتاب "حوار مع ترفون" (المترجم).

العربية" بجزء من سمعتها حتى وإن كان المجـــوس، ملوكـــا أو غـــير ملـــوك، سرعان ما سيتغير مكانهم من هـــذا البلـــد ليغـــدو هنا أو هناك.

القرون المسيحية :

إن تمسح الإمبراطورية الرومانية لم يحفـــز علـــى القيـــام ببحوث جديدة، بل العكس، فإن الجهد العلمي كان حينـــها في انحطاط مستمر. صحيح أن المأثور الأدبي استمر في الحفاظ على القوالب الفكرية الجاهزة وإن قدمت مع عدم الاكتراث بتعدد أوجه الغموض فيها. فمثلا في حوالي سنة 400م فـــإن الشاعر (كلودين) Claudien الذي ربما أثـــر عليـــه صـــدى انتصارات الملكة (ماويا) Mawiya في صد قـــوات الرومـــان وخلط هذه الانتصارات بالحكايات التي ذكرها (ســـترابون) حول تعدد الأزواج السبئيين. ولم يتوان عن التـــأكيد بـــأن جنس الإناث هو الذي يحكم لدى هؤلاء المجوس والطائشـــين السبئيين.

وقل الاهتمام ب الطيوب وذلـــك بســبب اســتعمال الطقوس المسيحية لها استعمالات معتدلا وكذلك من جـــراء الفقر العـــام الذي لحق سكان المتوسط مما أثر على استهلاك الكماليات عامة، وصار الاهتمام ببـــلاد اليمـــن لأســباب استراتيجية وإيديولوجية وذلك أن موقعها صار في علاقة مـع الأساطير الجديدة لليهودية والمسيحية أو المسيحيين فقط.

إن الصراع القديم بين روما وإيران قد اصطبغ من ذلـــك الحين فصاعدا بعداوة دينية ذلك أن المسيحية أصبحت ضـــد المزدكية الساسانية. ووفقا للقانون الاستراتيجي المعـــروف في البحث عن التواطؤ مع أعداء أعدائنا فإن المتصارعين عقائديـا داخل المسيحية التقليدية المهيمنة علـــى (بيزنطـــة) كـــانوا يبحثـــون عن دعم إيران وكذلك دعم اليهود والمســـيحيين النساطرة. وجاء اعتناق الطبقة الحاكمة في أكسوم للمسيحية نحو سنة 350م ليضع بحـــدة مشـــاكل الانحيـــاز السياســـي والعقائدي للبحر الأحمر.

ومن حينها صار الاهتمام ببلاد اليمـــن مرتكـــزا علـــى وضعها الديني وعلى منتجاها أكثر منه على دراسة العـــادات

والتقاليد. إن انتشار التبشير باليهودية في هذه المنطقة قد أقلق الرومان والأكسوم وجاءت حملات الأكسوم من الشاطئ الآخر للبحر الأحمر مصبوغة بأسباب دينية، وتزعزع الوضع الاقتصادي و لم تعد بلاد اليمن في وضع المنتج وإنما صارت محطة محتملة لتجارة الحرير الصيني.

ومن هذا المنظور الاستراتيجي والعقائدي أرسل الإمبراطور (قسطنطين الثاني) Constance II حوالي سنة من 350م إلى العربية الجنوبية، سفارة تحت قيادة ذي المعجزات الأسود (ثيوفيلوس) Théophile المدعو بالهندي وكان أحد المتعصبين للتيار الأنومي[17]. وترجع آخر المعلومات الأساسية التي حصل عليها سكان المتوسط عن بلاد اليمن إلى هذا السفير الذي أصله من المنطقة (فموطنه هو جزيرة ديبوس Dibous وربما أنها سطقرة). والواقع أنه قد نتج عن تقريره بشكل مؤكد نص المؤرخ الأنومي (فيلوسترج) Philostorge الذي كان يكتب من 425 – 450 حول هذه السفارة.

---

(17) تيار ظهر في القرن الرابع وكان يمثل أقلية اعتبرت مهرطقة بسبب أنها ترى أن الابن والأب مختلفان جذريا (المؤلف).

إن الحميريين هم من أحفاد إبراهيم وزوجته (قطـــورة) وكانت عاصمتهم هي سبأ وهي عاصمة الملكة الـــتي زارت سليمان. ولديهم عادة الختان في اليوم الثامن. وهم وثنيـــون يؤلهون الشمس والقمر وآلهة أخرى، ويقطنها عدد كبير مـــن اليهود، ورغم التعارض معهم فإن (ثيوفيلوس) قد حمل معـــه عددا كبيرا من الهدايا و 200 حصان، ونجح في إقناع الحـــاكم فيها أن يمكنه من بناء ثلاث كنائس إحداها في العاصمة ظفار وأخرى في ميناء عدن.

وبعد نص (فيلوسترج) فإن أي معلومة لم تتوفر عن بـــلاد اليمن قبل الإسلام، ما عدا بعض معلومات مناسباتية ودينيـــة. إن الاهتمام السياسي والعقائدي قد دفع الإمبراطورية في عهد (جوستين)518–527م، وفـــي عهـــد (جوســـتنيان) Justinien 527–565م أن يرسل إلى بلاد اليمن وإلى شيوخ القبائل العرب وملوك أكســـوم ســـفارات مثـــل ســـفارة (جوليـــان) و (نونوسوس). وكان هدفها إقامة تحالف واتفاقيات عســـكرية وتجارية وتسليم المجرمين. لكن هل حملت لنا بعض المعلومـــات الأساسية؟ للأسف لم نعرف من حكاية (نونو سوس) ســـوى

نتفة صغيرة احتفظ بها لنا (فوتيوس) Photios . والأمر يخص مملكة أكسوم والقضايا العربية، وثمة مقطع حول فرسان، ويقصد بذلك جزر فرسان والتي رأى فيها السفير البيزنطي هذا سكانا ببشرة سوداء، وبدوا له كالمتوحشين وأجسادهم مليئة بالشعر ويعيشون عراة لا يسترون سوى العورة. أما (بروكوب) Procope (نحو 500م – 562م) فإنه يعطى بعض التفاصيل حول المغامرات العسكرية، والسياسية، والتجارية ويقول: إن الحميرين ينقسمون إلى وثنيين ويهود. وإن أراضيهم فريدة في جمالها، ويوضح أن التجار الإيرانيين يقيمون في موانئهم وفي الموانئ الأثيوبية ويحتكرون تجارة الحرير الذي يشترونه من التجار والبحارة الهنود ثم يحملونه ويعيدون تصديره نحو الإمبراطورية الرومانية.

وفي هذه الفترة تناقص الاهتمام الفعلي بوضع بلاد اليمن، وقد أخذت المنطقة تفقد في نظر شعب المتوسط هويتها الخاصة وخصوصيتها، وصار النظر إليها كمنطقة تختلف عن العرب والجزيرة العربية، ذلك أن الشمال والوسط من جزيرة العرب باعتبارها أراض للبعثات قد تأثرت كثيرا بالتبشير

المسيحي والنفوذ الروماني، ولم يعد الأمر يعني سوى توسيع وتعميق هذين الحقلين من التأثير، فقد انتشرت تسمية هؤلاء العرب بـ (ساركنوا) و (ساراسانيين)[18] وكانت تنافس التسمية بالاسماعيلين أو (بالغارنيين) الذي اشتقه اليهود والميسحين من الأنساب المشار إليها في الإنجيل، وقد تستعمل التسمية القديمة (سكنسبا عربي وسنتيا عرب) أي الذين يعيشون تحت الخيام.

وإلى الجنوب من هؤلاء العرب، بمختلف التسميات المذكورة، نحن إزاء عالم آخر، إنه عالم واسع يطل على شواطئ بحر ارتيريا أي البحار التي تقع إلى الجنوب الشرقي من الإمبراطورية الرومانية. وهذه المنطقة المجهولة نسبيا في اتجاه الهند نجد فيها عدة تجار وبحارة هنود وجاليات هندية. والتأثير الهندي موجود في كل مكان وإن كان بشكل غير متوازن. إنها في الواقع المنطقة التي تسير فيها منذ زمن طويل سفن التجارة التي تذهب لاستبدال المواد الغذائية من البحر المتوسط مقابل بضائع مطلوبة ينتجها أو ينقلها الهنود. والمحيط

(18) ربما هو نطق محرف لكلمة شرقيين بطريقتين مختلفتين.(د.يوسف محمد عبد الله)

الذي ينفذ إليه الخليجان المسميان "العربي" (أي البحر الأحمر) و "الفارسي" صار يعرف أكثر فأكثر بالمحيط الهندي وصار مفهوما أنه كان ينبغي تحديد وتوضيح المفهوم القديم للمحيط الوحيد الذي يحيط كل أنحاء الأرض المسكونة وهكذا فإن سكان هذه المناطق لدى طائفة من الكتاب سموا بالهنود ومنهم سكان بلاد اليمن وأثيوبيا.

وفقا للمستويات الثقافية، والأوساط، والتوجهات، والعادات المألوفة، فإن هذا المفهوم الغامض للهند قد أخذ يتحدد واستبدل بأسماء أخرى. ومهما قيل فأن المناطق المجاورة للهند تشير حسب (روفن) Rufin -كتب حوالي 401-403م - إلى الشواطئ الأفريقية للبحر الأحمر. ويجعل (فيلوسترج) فيما كتبه بين 425م - 450م "أن الهنود الأكثر بعدا إلى الداخل هم الشعب المعروف في الماضي بالسبئين أو سبأ. واسم عاصمتهم اليوم هي حمير"وفي سنة 400م فإن طبيبا من الغال ينظم الشعر قد استطاع أن يميز بين الهنود والعرب والأغنياء السبئين"والواقع أنه كان ينسخ عن نصوص أقدم.وبعد قرن ونصف أي حوالي547م - 549م فإن رحالة آخر طاف البحر

الأحمر ولكنه لم يصل إلى شبه القارة الهندية، وهذا التـــاجر البحار كان يدعى (كوسمـــاس انديكوبلوســتيس) Cosmas Indicopleustes يميز جيدا بين الهند الحالية التي كان يسمها الهنـد الداخلية و اثيوبيا، واكسوم وبلاد حمير "التي كانت تسمى في الماضي العربية السعيدة ويحـــدد فروقـــا في نطـــاق جزيـــرة العرب(كل الجزيرة العربية) ما بين تلك التي تقع من جـــهتنا وتلك التي تسمى السعيدة.

وفي عصر (بروكوب) فإن أحداث بلاد اليمن كـــانت موضع اهتمام كبير في أوساط الشرق المسيحية. ولكن هـــذه الأهمية تنحصر في الصراع الدائر في هذه المنطقة بين اليهوديـة والمسيحية. إن الاضطهاد الذي مارسه (يوسف أسأر يشـأر)، والمشهور أكثر بكنيته العربية (ذي نواس)، ضـــد النصـــارى وخاصة نصارى نجران في سنة 520م قد أثار الغضب في كـــل مكان. فالانتصار اللاحق لدولة أكسوم المدافعة عن المســيحية جاء بمساعدة السفن البيزنطية، وهذا الانتصار قد غمر العـــالم المسيحي بالسرور والاعتزاز وكان أحـــد شـــعراء البـــلاط (اغاثياس) Agathias حوالي 536م – 582م اشتهر بشعر يمجد فيه

الهيمنة المسيحية على البحر الأحمر حين يشير إلى الإمبراطورية البيزنطية يشبهها بإيطاليا، نواتها الأصلية، وانشد يقـــول: "لم يعد لدي مكان لم أجه لكن.. حتى أعماق بحر أثيوبيا فالسفن الإيطالية تضرب بمجاذيفها أمواجه المسالة".

وتطورت مجموعة من الحكايات المسيحية، تفـــاوتت في وفائها لروح الواقع، وسرعان ما صارت المغامرات المأســاوية لهذه المعركة والانتصار الاكسومي -البيزنطي مخيبـــاً للظـــن. وتحتوي هذه الحكايات على بعض الملاحظات النادرة غــــير الدينية عن البلاد في وسط مسيحي أفضت هذه الملاحظــات لاحقاً إلى تصورات جديدة وإلى أخطاء عجيبة. مثل كتــاب يزعم أنه سِجل "الملوك الحميرين" . فأخذه بعـــض العلمــاء الذين ليس لديهم حس نقدي مـــأخذ الجـــد واعتقـــدوا أن باستطاعتهم استعمال ذلك لرسم لوحــــة عــــن الأوضـــاع الاجتماعية في نجران في القرن السادس الميــــلادي. أمـــا في الجزيرة العربية فإن ذكريات هذه الأعمال تفهم بالإشـارة إلى القرآن. والمأثورات تتحدث عن نزعة وطنية يمنية أســـطورية وتفضي إلى حكايات أمينة نسبيا، ومن جهــــة أخــــرى إلى

حكايات تاريخية تمجد كفاح اليمنيين ضد الأثيوبيين السود وخاصة الشخصية التاريخية المعروفة بسيف بن ذي يزن.

وإذا كانت مواقع أخرى قد تم اقتراحها، كما رأينا ذلك، وحظيت ببعض الشهرة فقد كان طبيعياً أن اليهود والنصارى من جزيرة العرب يرون في بلاد اليمن مملكة سبأ التي منها جاءت الملكة التي زارت سليمان حسب سفر الملوك الأول، حتى وإن كان اللفظ لم يعد كثير الاستعمال فقد كان يعرف أنه الاسم القديم للبلاد ومن جهة أخرى فإن ابرهة 543م في نقش له على سد مارب قد أعلن نفسه "ملكاً لسبأ وذي ريدان" وهذا قبل أن يذكر القرآن مكان المملكة القديمة بأقل من قرن. وفي هذه الأوساط تطورت الأساطير الشائعة عن الملكة الشهيرة. وهي أساطير نَستَدِل من (الترجوم) الثاني لسفر (أستير)Esther على شعبيتها لدى اليهود، ونعلم أنها في أثيوبيا تقوم بوظيفة إعطاء مشروعية للأسرة الحاكمة بعد القرن الثالث عشر الميلادي وهذا استدعى تحديد موقعها في أفريقيا.

وخارج هذه الأوساط المحدودة فإن الغموض هو المهيمن في الحلقات الأسطورية التي لعبت فيها بلاد اليمن دوراً ما بطريقة ضمنية في معظم الوقت. إنها من المسالك المؤدية إلى مثوى الصالحين في أقصى الشرق واعتبرتها التعديلات المسيحية "جنة عدن". وهي مسالك حددت في معظمها وفقاً لروايات عن ملحمة الاسكندر. فبلاد اليمن انصهرت في الهند غير المحددة التي تضم حتى (النوبة)، لكنها اختفت كمرحلة هامة.

ونفس الغموض يستمر عامة، في نطاق التطور المذهل الذي يرقى بالجهد الواسع لتنبؤات الإنجيل إلى مستوى الأسطورة في العالم أجمع. لقد كانت نقطة الانطلاق هي الحث الواضح الذي شدد عليه المسيح نفسه وأناطه بالتابعين الأوائل للمسيحية. وقبيل نشوره أو بعده حظّ أتباعه قائلاً: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يعملوا بكل ما أوصيتكم به". إن النطاق الجغرافي للبلدان التي كان يرى إمكانية تبشر المسيحية فيها أخذ في الاتساع رويداً رويداً، ففي حوالي

سنة 170م فإن (بانتينوس) Pantainos منشئ أول مؤسسة تعليم للمسيحية في الاسكندرية، وهو فيلسوف رواقي، تديّن واشتهر بدفع بعثة لتعليم الإنجيل حتى "لدى الهنود". وبالرجوع إلى كتاب (أوريجين) Origène المفقود (حوالي 185م – 254م) فإن (يوسب السيزاري) Eusèbe de Cesarée حوالي 300م – 310م يتحدث عن تقسيم مناطق جغرافية بين المبشرين بالإنجيل وقد ترجمه (روفن) بين 402م– 403م من الإغريقية إلى اللاتينية، وأضاف إلى البلدان التي ذكرها (يوسب) في هذا الموضع الهند المجاورة، وذلك بغية توضيح المقطع المذكور آنفاً حيث يقول (يوسب) فيه أن (بانتينوس) قد وجد الهنود وقد وصلتهم نبوات الحواري (بارتوليمي) Barthélemy الذي ترك لهم نصاً عبرياً لإنجيل (متّى). أما (روفن) فإنه يسجل الأسطورة التي تشير أن الحواريين قد تقاسموا البلدان عن طريق القرعة.

لكن ما الهند المقصودة هنا؟ إننا إزاء نقطة انطلاق لأدبيات وافرة ومبهمة حيث يظهر الالتباس المتزايد بين المفاهيم الجغرافية في كل المناطق الجنوبية وازدهار المواضيع

الأسطورية المتعلقة بها. إن الأمر هنا متعلق بجنس أدبي عُرف "بالأعمال الزائفة" Actes apocryphes للحواريين. وتنعكس فيه في فترة لاحقة صنوف الاحتقار لما طرأ من تحولات على توجهات المبشرين وفقاً للأوضاع السياسية.

والهند تعتبر ميدان التبشير لبعثات القديس (توما) .St. Thomas والقديس (بارثوليمي). فعند (توما) الأمر يعني التوسع نحو الشرق من المنطقة التي أسندت إليه أصلاً وهي (قصروان)، ثم (بارثيا)Parthie ، وتخص حكاياته (باكتريان) Bactriane والشمال الغربي لشبه القارة الهندية. أما الهند عند (بارتوليمي) فإن الغموض أشد وأكبر فالأمر أحياناً يخص اثيوبيا (بالمعنى الذي نعرفه اليوم) وبلاد النوبة و (بلاد طيوه) Thébaide ولكن نصوصاً متأخرة تفيد أنه كان يبشر على وجه الخصوص في العربية السعيدة أيضاً. وهو ما كان سُمع عن (روفن). ويذكر في ترجمة أرمينية لهذا الحواري اسم عدن. وهذه التدقيقات في النسب لا تنطوي على أي قيمة، وهي نتيجة لافتراضات أقامها، بالاعتماد على الصدف، مؤرخو القدسيين قليلي الكفاءة، وربما أنها لا تفيد الجغرافيا. وبشأن

نشر الدعوة الإنجيلية في بلاد اليمنفإن (بارتوليمي) كان لـــه منافس، وهو خصي الملكة (مروي) Méroe (الاكندكـــي) La Kandakê الذي أرشده إلى الدين المســـيحي نـــائب الكـــائن (فيليب) Phlippe وذلك في طريق غزة، وكانت هذه الملكـــة تسمى وفقاً لكتاب "الأعمال المزيفة" ملكة أثيوبيا. وكـــان على هذا الخصي أن يعلم مملكته وكل أقطار البحر الأحمر وما بعده هذه المبادئ السهلة.وفي نطاق منطق تاريخ القديســـين يمكن افتراض أن هذا الخصي الذي تأثر بالإنجيل قـــد بحـــث عـــن الوعظ بألفاظ الإنجيل في هذه المنطقة ويذكر أنه كـــان ينشر في بلدان منها العربية الجنوبية. وهناك زعم بأنه تـــوفى شهيداً بسبب ذكره مقطعاً مزيفاً من كتاب "الخلاصـــات" Esquisses أو(هيبوتيبـــوس) Hypotyposes لمؤلفـــه (كليمـــان الاسكندري)Clément de l'Alexandrie ، وهو كتـــاب مفقـــود ذكره علماء الإسكندرية في نهاية القرن الثاني وبداية القـــرن الثالث. وكان معلمه هو (بانتينوس) المبعوث التبشـــيري إلى الهند كما رأينا.

الخلاصة :

ما الذي نخلص به من هذه اللوحة التي لم أبحث مطلقا أن تكون شاملة ولكن قدمت للقراء المعلومات الأكثر إفادة من النصوص التي أمكن الاحتفاظ بها؟ ومن الطبيعي أن يؤثر عليها غياب عدد من المؤلفات المفقودة ضمن ما فقدته الحضارة القديمة، فهل الاكتفاء ببعض النتف المتبقية من مؤلفات (يوبا) أو(غلوكوس) و(يورانيوس) و(نونوسوس) من بين آخرين، يمكن الاعتقاد أن المواضيع الأكثر أهمية في الضمير اليوناني- الروماني قد قدمت بطريقة أو بأخرى هذه النصوص التي بقيت لنا.

وعليه يمكن استخلاص بعض الآراء العامة التي تؤكد ما أعلمتنا به دراسة الصور التي تشكلت لدى شعب ما من الشعوب الأخرى. في البدء يجب أن يبقى في الذهن- وهو ما لم يقم به دوما المختصون- أنه لم تكن هناك قط صورة وحيدة، لكن جملة من الصور المتباعدة وأحيانا المتناقضة حسب مستويات الثقافة والوضع الاجتماعي والاهتمام الخاص والمعارف المحددة التي تتولد عنها أنماط الاختصاص.

زد على هذا أن كل هذه الصور تطورت حسب المواقف التاريخية. في البدء تأثرت العلاقات المادية بين الشعوب التي ترى والشعوب المرئية بالمشاعر والأحاسيس المختلفة التي أحدثتها هذه العلاقات.

ويجب على الدوام الاهتمام بمسالك المعرفة وطرقها بما في ذلك الخرافة وذلك للولوج إلى عالم الكتّاب وإلى تقويم المؤلفات الأدبية. وهذا يجب أن يؤخذ به بعين الاعتبار خاصة إذا كان الأمر يخص ثقافة نخبوية أصلاً، لقد كان من المفترض وجود عدد من سكان المتوسط لديهم علاقات مع سكان بلاد اليمن وزاروا مرارا بلادهم، وربما كان هناك بعض الجاليات الإغريقية في المنطقة كما يذكر (بليني الأكبر).

وبعض آثار الفن الهلنستي التي تم العثور عليها، وإن كان بعض منها قد حمل من مصر أو أماكن أخرى، هي نتاج لفنانين وحرفيين من البحر المتوسط عملوا في تلك المناطق أو من نتاج منافسيهم فيها. وكل هؤلاء كان عليهم أن يكتبوا ويتكلموا عن بلاد اليمن وعن من رحل وعاش في البحر المتوسط. وقد شاءت الصدف أن تبقى بعض الآثار وقد وجد

هؤلاء من يستمع لهم ولكن ماذا بقى لنا من ذلك؟ أن ما أمكنه الوصول إلينا هو النزر القليل.

فقد اختلطت الأساطير والخرافات بالمعلومات الصحيحة بطريقة يعسر معها التمييز وهذه المعلومات قد أولت وتحولت في الغالب وفقا للتصورات العامة التي تؤطرها، فعند مجيء عهد العقائد التوسعية مثل المسيحية فإن التحولات تمت في اتجاه مدحي وتقريضي.وأهمية العقيدة الجديدة قد غُلِّبت على نقل المعلومات التي لم يهتم بها رجال الدين الجدد ما عدى في حالة إذا كانت تمس مباشرة استراتيجية التبشير، وتلك التي تصدر عن الدولة التي تهيمن فيها العقيدة.

فالمعلومات الصحيحة، والصور المتراوحة بين الوضوح والتشويه، والأساطير والخرافات قد تجمعت عبر القرون دون أن يقع استبدالها عندما جاء المأثور الأدبي والديني الذي حافظ عليها. فالأدباء قد اختاروا ما كان يفرضه عليهم هذا المأثور، وفقا لمعرفتهم ولاهتمامهم التي يمكن أن تكون محدودة جداً وحتى التي يمكن أن تكون شكلية فقط، فبعض الأحيان تحصل لأسباب ترجع إلى الوزن والقافية وإلى الاستعارة

المطلوبة، على هـــذه المعلومة أو تلك مما يجعلها ذات صـــدى غير متوقع.

إن الأساطير المسيحية والمسيحية اليهودية كان ينبغـــي أن تكون الأكثر استمرارا، وكان عليها أن تشـــمل الأســـاطير الأخرى وذلك بسبب الهيمنة المسيحية واحترامها للعـــهدين الجديد والقديم من "الكتاب المقدس". صحيح أن ملكة ســـبأ وملوك المجوس قد أثروا على خيال الأوروبيين حتى يومنا هذا، ولكن لم تكن هناك معلومات كافية أين تقع سبأ، ولم يقـــع الاكتراث بذلك كثيراً، حتى قبل العصر الحديث. صحيـــح أن (جيرفيس تيلبوري) Gervaise de Tilbury بين 1140م– 1220م كان يعلم أن بلاد الملكة المشهورة هي الجزيرة العربية لكن (ماركو بولو) Marco Polo حوالي سنة 1254م– 1324م كان يجهل ذلـــك حين عبر بلاد اليمن، وكان يظن كما يبدو أن اسم سبأ هـــو اسم المدينة الفارسية (ساوا) Sâwa والذي يرى أن أصل الملوك المجوس الثلاثة منها.

وفي الختام فإن موضـــوع الطيـــوب لـــدى اليونـــان والرومان– وهو الذي يمثل جيدا الأدب القديم من الناحيـــة

الكمية- قد هيمن حين كان يقع تصور جزيرة العرب. ففي شبه الجزيرة هذه البعيدة ولمدة طويلة على الأقل، فإن مأثور الأدباء المتخصصين قد فرض في الذاكرة الجماعية صورة خلفها لنا (بليني) والشعراء الآخرين عن (هيرودوت). أما (شكسبير) فإنه يذكر ما يؤكد استمرار هذه الذكرى لدى المثقفين يقول كل طيوب بلاد العرب وعطورها لن تُحَلِّي هذه اليد الصغيرة.

ملاحظة ختامية :

لم استطع أن آخذ بعين الاعتبار الكتاب الجديد (لنجل غروم Nigel Groom) حول تجارة البخور والمر في الجزيرة العربية لندن- نيويورك 1981 وفيه تناول متميز لجملة المشاكل الخاصة بطيوب بلاد اليمن وتجارها مع الحضارات القديم.

Nigel Groom, Frankincens and Myrrh, a Study of the Arabian Incense Trade, London, New York, 1981.

ملاحظة ختامية (المترجم):

سبق نشر هذه الترجمـــة في مجلـــة الثقافـــة العـــدد 30 للســـنة الخامسة، بعنوان " العربية الجنوبية في المصادر الكلاسيكية" فـــبراير- مارس 1997م، ص ص 14 -49، وأعيد النظر بالترجمة وأهملت الحواشـــي الكثيرة التي وردت في الأصل إحالةً إلى مصادر أخرى واكتفي بترجمة أهمها أو شرح بعض ما يقتضي الشرح.

القسم الثاني

بلاد اليمن
في المصادر الكلاسيكية
(مختارات)

جمع وتحقيق وترجمة:
د. عبداللطيف الأدهم

توطئة

نود أن نركز في هذه التوطئة على عـــدد مـــن النقـــاط المنهجية التي بدا لنا من الضروري تقديم بعض التوضيحـــات حولها، والتي تهم مادة المختارات، سواء على مستوى مرجعية اختيارنا لهذه المادة، وتحديدنا لكل من المؤلفات وكـــذا مـــا استمديناه منها من كتابات، أو على مستوى أعداد الترجمـــة وما يرتبط بها من أبعاد.

وقد اتجه التفكير في المستوى الأول، وبالنسبة إلى مســألة تحديدنا للمؤلفات، نحو الاهتمام بأن يؤخذ عنصر التنـــوع في الحسبان، وذلك بغرض أن تكون الفائدة المرجوة من هـــذا

العمل أشمل قدر الإمكان. وعلى الرغم مما تنطوي عليه هذه الرؤية من صعوبات، لاسيما منها صعوبة إيجاد مثل هذه المؤلفات، فإنه تم الوصول، في العموم، إلى ثلاثة منها تعود على التوالي لكل من هيرودوت Hérodote ، وديودور الصقلي Diodore de Sicile ، إضافة إلى استرابون Strabon (*). وفي الواقع، ومع أن عددها بقي في إطار الحد الأدنى الذي كنا نطمح إليه، فقد توفرت فيها مجموعة من المعطيات الأساسية التي تلتقي مع منطلقات منظور رؤيتنا، حيث أنها تعكس قدراً من التنوع الذي يمكن أن نلمسه على صعيد المؤلفين، والفترات التاريخية، والاهتمامات والمضامين. . إلخ.

أما بالنسبة إلى مسألة تحديدنا للكتابات، فأن ما تبين لنا من مطالعة المؤلفات المنوه إليها، هو أنها تضمنت نصوصاً متفاوتة الطول عن بلادنا وفق التسمية المتعارف عليها في هذا العصر أو ذاك، فضلاً عن تضمنها لبعض الاستطرادات والإشارات العابرة التي جاءت في سياقات أخرى متفرقة

(*) احتوى اثنان من هذه المؤلفات على عدة أجزاء، وسيتم عند تقديمنا لهما التطرق للتفاصيل المتعلقة بهذه المسألة.

تتجاوز في الغالب السياق العام لمحور الحديث الذي وردت فيه. وقد رأينا أن تتشكل مادة المختارات، في هذا العمل الذي نعتبره بمثابة خطوة أولى، من مثل هذه النصوص، التي لم تكن هي بدورها خالية من بعض الاستطرادات، وكذا الإشارات العابرة. وكان تعاملنا المنهجي بهذا الشأن قد خضع بالتالي لمجموعة من الاعتبارات أهمها نقطة انطلاق كل نص، ومدى التداخل بين سياقيه الخاص والعام.

في حين أن ما تم، على المستوى الثاني، يتمثل في اختيار أن تترافق الترجمة مع تقديم ما يسهم، إلى جانب ما ورد في القسم الأول، في توضيح وتدقيق بعض ما حملته مادة المختارات من معلومات تاريخية، وجغرافية، وغيرها مما قد يغيب على القارئ غير المختص. ويمكن، بالإضافة إلى ذلك، تعميق مطالعة هذه المادة بإمتداداتها المتعددة عن طريق الاستعانة بما ستتم الإحالة إليه من مصادر ومراجع وبما هو موجود الآن في المكتبة اليمنية.

ويبقى، في الأخير، أن توزيع مادة المختارات داخل هذا القسم ، وبعد أن تم إعداد ترجمتها وفق ما ذكر، أتى من

الناحية المنهجية بحسب التسلسل التاريخي فيما يتعلق بالمؤلفات، وبحسب تسلسل مواقع النصوص فيما يتعلق بالمؤلفات التي احتوت على أكثر من نص من النصوص التي تعنينا في هذا العمل.

أولاً : استطلاع هيردوت

ينحدر المؤرخ الإغريقي هيرودت من عائلة نبيلة من هاليكاناسوس بآسيا الصغرى. وتشير العديد من الكتابات إلى أن الفترة التي عاش فيها تتراوح تقريباً ما بين 484 و 425 ق.م، وكان في حياته قد شغف بالتاريخ، وبتسجيل ما وصل إليه من أخبار حول الصراع بين الإغريق والفرس وبين أوربا وآسيا منذ أقدم العصور، وكذا ما عاصره هو من أحداث، وما جمعه أيضاً من معلومات وغرائب خلال ما قام به من رحلات.

وقد نزع في كتاباته نحو اتباع رؤية أخـــذت تتجه باتجاه معالجة التاريخ باعتباره موضوع بحث علمي، ووصف لذلـك من قبل شيشرون (106 – 43 ق. م.) بأنه "أبو التاريخ". بيـد أن ما يتضح من تلك الكتابات هو أن ملامح هذه الرؤية، مع أهميتها في تلك الحقبة المبكرة التي كان ينظر فيها للتاريخ على أنه مجرد مجموعة حكايات شيقة عن الآلهة والبشر(*)، كـانت ما تزال في طور تشكلها الأولى، حيث يتبين مما قدمه عـــدم إعطائه، في نفس الوقت، قدراً كافياً من العناية لما يتعلق بدقـة التفاصيل، وتحليل الأخبار ونقدها، والتفرقة بـــين الحقــائق والأساطير، . . إلخ[1].

ويبقى مع ذلك أن هذا المؤرخ لا يعد بوجه عام أحــــد رواد علم التاريخ الأوائل فحسب، وإنما يعد أيضاً أحد أقــدم المؤرخين الإغريق الذين كتبوا عن بلاد العـــرب Arabie بمـــا ترتبط دلالات مضامينه باليمن، أو ما عرف بعد عصره بفترة بالعربية السعيدة، وذلك بعد أن كـــانت المعلومـــات الـــتي تراكمت قد سمحت لبعض المؤلفين متعددي المشارب بتقـديم

(*) تمت الإشارة لبعض هذه الآلهة في القسم الأول، وفي سياق هذا القسم أيضاً.

تصور أكثر تمييزاً لمحيطه الجغرافي، وإن بصفة عائمة ومتفاوتــه الدقة[2]. ويدخل في هذا الإطار ما ورد في مؤلفه المعنون بــــ "الاستطلاع" Enquête ، الذي خصص فيـــه نصـــاً رئيســـياً للحديث عن بلا العرب وفق ما طرح انفاً، فضلاً عن إشاراته العابرة، وما ذكره في عدد من السياقات العرضية المتفرقة.

وقد تكوّن هذا المؤلف الـــذي يهمنا هنا، وبالرجوع إلى نسخته التي استعنا بها، وهي النسخة الصادرة عن دار النشـــر الفرنسية غاليمار Gallimard ، من (654) صفحة بما فيها ما هو ملحق به من هوامش وفهارس وغيرها، وتوزعت محتوياتـــــه على تسعة كتب حسب التبويب الذي كان شائعاً بالخصوص في فترات تاريخية ماضية. وجاء النص المشار إليـــــه، الـــذي أدرجناه ضمن مادة المختارات، في الكتاب الثالث منـــه، وفي إطار فقراته التبويبية ما بين (107) و (113).

وقبل أن نسوق ترجمة هذا النص، هناك بالتأكيد أكثر من ملاحظة يمكن أن تثار حول هذا الجانب من جوانبــه أو ذاك، ومنها: صغر حجمه، وحدود مضامين معلوماتـــــه، ســـواء على مستوى نطاق اهتماماها، أو على مستوى دقتها أحيانـــاً

غير أنه يمكن القول بأن مثل هذه المصادر هي، بكل ما يعتريها من القصور، ذات قيمة معرفية مختلفة الأبعاد. وفيما يلي، وبعد هذه الوقفة، ترجمة ما ورد فيه (*):

107 – وبالانتقال الآن إلى ناحية الجنوب، فإن بلاد العرب هي آخر الأراضي المأهولة. وهناك، وفيها فقط، نجد البخور، والمر(3)، والقرفة، والكافور، واللليدانون Lédanon (4). غير أن جمع هذه المحاصيل، باستثناء المر منها، يستدعي من العرب تحمل الكثير من المشاق.

فهم يحصلون على البخور عن طريق اللجوء لحرق الاصطرك Styrax (5)، وهو نوع من الصمغ يتاجر به الفينيقيون مع الإغريق، وذلك لأن الأشجار التي تنتج البخور تحرسها ثعابين مجنحة، وصغيرة، وذات ألوان متعددة، (إنها نفس تلك

(*) للرجوع إلى هذا النص في النسخة التي استعنا بها، أنظر:
Historiens Grecs 1, Hérodote et Thucydid, Trad. par A. Barguet et Denis Roussel, (Paris: Gallimard, 1964), pp. 265-267.

التي تغزو مصر)، ولا يمكن إبعاد ما يتجمع منها بكثرة حول كل شجرة بأي شيء آخر عدا دخان الاصطرك.

108 – ويذهب العرب إلى حد الادعاء بأنها قد تغزو الأرض قاطبة، لو لم تكن -كما أنا على علم مسبق بذلك- عرضة لما تتعرض له الأفاعي. فقد أعطت العناية الألهية بما ينتظر فيها من حكمة، للحيوانات المجبولة على الخوف والصالحة للأكل خصوبة استثنائية للحفاظ على نوعها، وخصوبة متدنية للحيوانات المفترسة والضارة. وهكذا، فإن الأرنب البري، ولكونه بمثابة طريدة للحيوانات والطيور والبشر، يتميز بقدرته الهائلة على التكاثر، وتعد انثاه الأنثى الوحيدة التي يمكن اخصابها وهي حامل، حيث أنها تبدأ بالحمل مجدداً، في نفس الوقت الذي تتواجد فيه داخل رحمها أجنة في طور التخلق، وأخرى قد نمت وأصبحت مكسوة بالوبر، وغيرها دون ذلك.

وفي مقابل مثل هذه الخصوبة، فإن اللبوة، وهي من أقوى وأشرس الحيوانات، لا تضع في حياتها سوى شبل واحد، لأنها تطلق أثناء الوضع كل من وليدها ورحمها معاً. والسبب في ذلك هو أن الشبل، وهو جنين في بطن أمه، يقوم حينما يشرع بالحراك بخبش رحمها بمخالبه، التي لا توازيها في حدتها مخالب أي حيوان آخر، إلى أن يمزقه تدريجياً مع تطور نموه، بحيث لا تأتي لحظة الوضع إلا وقد أتلفه تماماً.

109 — وينسحب هذا أيضاً على الأفاعي، وكذا الثعابين المجنحة الموجودة في بلاد العرب. فهي لو قدر لها أن تتكاثر كما تشاء، فربما لن يعد بإمكان الإنسان العيش على الأرض. غير أن ما يحدث لها هو أن الأنثى تعمد أثناء التزاوج، وفي اللحظة التي يتم فيها اخصابها من قبل الذكر، بالالتفاف حول عنقه، ثم لا تدعه بعد ذلك يفلت منها حتى تلتهمه كلية.

وفي حين يلقى الذكر حتفه على هذه الشاكله، فإن الأنثى تلقى بدورها جزاءها على أيدي صغارها التي تأخذ

بثأر أبيها منها حينما تقوم، وهي لاتزال في بطنها، بشق طريقها نحو الخارج عن طريق نخر أحشائها والتهامها. أما الثعابين غير الخطرة على الإنسان، فإنها، على العكس من ذلك، تضع بيضاً وترعاها إلى أن تفقس وتخرج منها أعداد لا بأس بها من الصغار. وبينما توجد الأفاعي في كل مكان، فإن الثعابين المجنحة لا تتواجد متجمعة وبأعداد كبيرة على ما يبدو إلا في بلاد العرب دون سواها.

110 – تلكم إذا هي الكيفية التي يتم بها الحصول على البخور. أما بالنسبة إلى القرفة فإن العرب، وقبل ذهابهم لجمعها، يغطون كامل الجسد والوجه، عدا العينين، بجلود الثيران وغيرها من الحيوانلت، حيث أنها تنمو في بحيرة قريب عمقها، لكن ضفتها ومياهها تستخدم كمأوى لحيوانات مجنحة، وتشبه بشدة ما عندنا من خفافيش، وهي تعمد لإطلاق صيحات مفزعة مع مالها من قوة تدعو للخشية. وللتمكن من جمع القرفة، فإنه لابد للمرء من أن يحمي عينيه من هجماتها.

111 – ويحصل العرب على الكافور بطريقة هي أكثر غرابة. فأين ينبت، وفي أي نوع من التربة؟ أنه ليس بمقدورهم أن يخبرونا بشيء عن ذلك. بيد أن البعض يدعي بما لا يخلو ظاهره من الصحة أنه ينمو في المناطق التي تربى فيها ديونيسوس Dionysos (6). كما يقال بأن طيوراً كبيرة الحجم هي التي تأتي بهذه القطع المتيبسة من قِلْف ما نسميه بالكافور، وهو أسم مأخوذ من اللغة الفينيقية، حاملة إياها إلى أعشاشها التي تبنى من الطين ملتصقة بهوات جبلية وعرة لا يمكن إطلاقاً أن يصل إليها الإنسان.

112 – وكان العرب لذلك قد وجدوا طريقة بارعة للحصول عليها، حيث أنهم يقومون بتقطيع لحوم الثيران، والحمير، وغيرها من الدواب التي لفظت للتو أنفاسها، إلى قطع كبيرة قدر المستطاع، ومن ثم ينقلونها إلى المنطقة المطلوبة، ويضعونها على مقربة من الأعشاش قبل أن يتواورن عنها. وفي

الحال، تنقض الطيور على هذا اللحم، وتنقله إلى أعشاشها التي ما تلبث أن تنهار، لكونها أضعف بكثير من أن تتحمل ثقل وزنه. ويأتي العرب حينئذ لالتقاط الكافور، الذي يرسل، بعد أن يتولون جمعه، إلى البلدان الأخرى.

ويتم الحصول على الليدانون، (يقول العرب عنه لادن)، بطريقة هي أيضاً أشد غرابة. فرائحته من أذكى الروائح، ولكنه يأتي من أحد أكثر المواضع انبعاثاً بالروائح الكريهة، ويعثر عليه في لحاء التيوس التي يبدو فيها كما يبدو الصمغ الذي تسيل به بعض الأشجار [7]. ويدخل الليدانون في تركيبة الكثير من العطور، ويفضل العرب استخدامه مضافاً إلى أنواع البخور لديهم.

113 — ولن نتحدث عن العطور اكثر من ذلك عدا أن بلاد العرب بكاملها تفوح برائحة ذات عبق سماوي. ويوجد في هذا البلد نوعان من الخرفان التي تتجاوز ما هو مألوف بكثير، والتي لا ترى في أي مكان آخر سواه. فبعضها له ألية بطول

ثلاثة أذرع على الأقل، وبحيث أنه إذا ما تركت الحيوانات تجرها على الأرض، فإن احتكاكها بها قد يتسبب في إصابتها بقروح. إلا أن كل راع يجيد تشكيل الخشب بقدر إن لم يكن كافيا فإنه يمكنه على الأقل من صنع عربة صغيرة يقوم بشدها أسفل ألية الحيوان، عن طريق ربط الألية فوق العربة. أما النوع الآخر، فإن له ألية عريضة، لا بل ويمكن أن تبلغ من العرض ما مقداره ذراع.

هوامش النص :

(1) انظر : الموسوعة العربية الميسرة، (بيروت: دار نهضة لبنان للطبع والنشر، ج2، 1981)، ص 1926. وكذلك :

Le Petit Robert 2, Dictionnaire Universel des Noms Propres (Paris: Le Robert, 1987), p. 834.

(2) يمكن أن تستنبط بعض تدقيقات هذه المسألة بالرجوع إلى القسم الأول من هذا العمل، وإلى: د. يوسف محمد عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره: بحوث ومقالات، (صنعاء: وزارة الإعلام والثقافة، سلسلة مشروع الكتاب، ج 2 ، 1985)، ص ص 5 –12.

(3) هو عبارة عن سائل صمغي بني أو أسود اللون يفرز من ساق شجيرات المـــر أما طبيعياً أو بعد جرحها، ويتجمد عند تعرضه للهواء. ومن بين أنواع الشجيرات المنتجة لهـــذه المادة التي كانت قديماً إحدى السلع الثمينة، يوجد في اليمن سبعة أنواع منتشرة في عدة مناطق منه. أنظر: علي سالم باذيب، النباتات الطبية في اليمـــن، (صنعـــاء : مكتبـــة الإرشاد، 1991)، ص ص 30 – 31 .

(4) يطلق على هذا المنتج النباتي في اللغة العربية اسم "اللادن" كما أوضح ذلك هيردوت في سياق النص، واسم "اللاذن" أيضاً، وقد تنوعت تاريخياً مصادره واستعمالاته لتشـــمل كذلك الجانب الطبي. لمزيد التفصيل، أنظر: محمد فريد وجدي، دائرة معارف القـــرن العشرين، (بيروت: دار الفكر، مج 8، 1979)، ص ص 270 – 276 .

(5) صمغ طيب الرائحة يفرزه جنس من النباتات يسمى أيضاً بالاصطرك أو اللُبنى، ويدخـل ضمن الأجناس النباتية المنتشرة في جبال بلاد الشـــام. أنظـــر: معجـــم الشـــهابي في المصطلحات الزراعية، (بيروت: مكتبة لبنان، ط 3 ، 1988)، ص 703.

(6) عرف كذلك بباخوس Bacchus، وهو إله الخمرة والخصوبة في الأساطير اليونانية. وكان التقرّب إليه يتم عن طريق تقديم الخمرة، وبعض الأنواع من الزهـــور والحيوانـــات، في حين كان من بين ما تتميز به طقوس عبادته عزف الموسيقى والرقص والشرب حـــتى الثمالة وذلك بغية التماهي معه. أنظر:

The New American Encyclopaedia, (Brussels: Deluxe Edition, vol. 7, 1973), p. 2402.

(7) يبدو أنه كان لليمنيين أنفسهم دور في تقديم مثل هذه المعلومات. ويرى المؤرخ محمـــد عبدالقادر بافقيه أن التجار، وبالنظر إلى قيمة ما كان بحوزهم من بضائع، ربما كـــانوا يعمدون عند إحراجهم بالسؤال عنها إلى "الغموض والإبهام في إجابـــاتهم"، ولعلـــهم كانوا يعمدون أيضاً إلى إحاطتها "بالأساطير على سبيل الدعايـــة" . أنظـــر: محمـــد عبدالقادر بافقيه، تاريخ اليمن القديـــم، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشـر 1973)، ص 184.

ثانياً : تاريخ ديودور الصقلي

عاش المؤرخ ديودور الصقلي(*) في القرن الأول قبل الميلاد، وعاصر كل من يوليوس قيصر (100 - 44 ق. م.)، وكذا خلفه أغسطس (اوغست)(**)، وحتى حدود السنة الحادية والعشرين قبل الميلاد. وكان هذا المؤرخ الإغريقي قد اشتهر بمؤلفه التاريخي الضخم "المكتبة التاريخية" الذي تناول في أجزائه الأربعين تاريخ العالم منذ اقدم العصور وحتى

(*) نسبة إلى جزيرة صقلية.

(**) ستتم الإشارة إلى هذا القيصر والتعريف به في سياق المحور الثالث من هذا القسم الذي خصص لمادة المختارات من المؤلف الجغرافي لاسترابون.

حرب يوليوس قيصر في بلاد الغال (54 ق.م.). وعلى الرغم من أن الكثير من أجزاء هذا المؤلف قد فقدت [1]، فإننا مانزال نجد فيما جمع ونشر مما تبقى منها ذكراً لليمن تحت اسم العربية السعيدة، الذي كان قد أصبح منتشراً في ذلك العصر، وإن كان من منظور يفتح المجال أمام أكثر من ملاحظة مثلما سنرى لاحقاً. ويتبين بالرجوع إلى الجزئين الأول والثاني من النسخة التي تمت الاستعانة بها، والتي طبعت في المطبعة الملكية بباريس، أن كل واحد منها انطوى خصوصاً على نص رئيسي في هذا السياق[*]. وقد قمنا، وبحسب التصور الذي وضعناه لمادة المختارات، بإدراج هذين النصين ضمن هذه المادة، وسيتم فيما يلي تقديم وترجمة كليهما.

(*) هذان هما الجزأن اللذان تمكنا من الإطلاع عليهما.

النص الأول

جاء هذا النص في الكتاب الثاني من الجزء الأول، وتشكلت مادته من فقرات هذا الكتاب التبويبية رقم (49) و (50) و (51)، وهي الفقرات التي انتقل فيها ذلك المؤرخ للحديث عن الجزء السعيد من بلاد العرب، بعد أن كان قد لمح إلى الجزء أو الرقعة الصحراوية منها. أما محتواه، فإن ما يلاحظ بإيجاز هو أنه تم التركيز فيه على تعداد ووصف الموارد البارزة، والتوقف عند الحياة البرية والحيوانات التي تعيش فيها. ومع أن مما يلفت الانتباه في النص الحديث في سياق ما ورد فيه أكثر من مرة عن بلاد العرب دون تحديد، فإن هناك من المؤشرات ما يستدل منه على أن الجزء المعني هو في الغالب جزؤها السعيد، وأن الخلط قد يكون ناتج عن

الاقتباس من مصادر قديمة دون الإشـــــارة إلى ذلـــك ودون تدقيق. وهذه بالتفصيل ترجمة ما تضمنه (*) :

49 – الجزء المجاور للرقعة الصحراوية المحرومة من الماء التي أتينا على ذكرها هو جزء مختلف تماماً، ويســـتحق لوفرة ثماره وما عداها من الطيوب التي ينتجها أن يطلق عليه بحق اسم العربية السعيدة. فـــهنا نجـــد قصب الذريرة، والسُعد (Souchet)(2)، وخامة غيرهمـــا من الطيوب المختلفة، وكذا الشجيرات من تلـــك التي لأوراقها رائحة شذية، وتلـــك الـــتي تحمـــل قطرات نسغها مختلف الاصماغ العطرية. وهنـــاك، وفي أقاصي بلاد العرب، يوجد منشأ المر، ذلـــــك البخور الأثير عند الألهة، الذي يتم تبادله في كافـة أنحاء الأرض. وتنتشر فيها بكثرة سيقان الســـنط، والكستوس (3) Costus، والكـــافور، وعـــدد مـــن النجيليـــات Graminées (4) الـــتي تتمتـــع بنفـــس

(*) للرجوع إلى النص في النسخة التي استعنا بها، أنظر:
Bibliothéque Historique de Diodore de Sicile, Trad. par A. F. Miot, (Paris: L'imprimerie Royale, Tome 1, 1834), pp. 297-301.

الخصائص، وتبلغ في سمكها مبلغاً جعل من هـــذه النباتات الثمينة، التي لا يتم إحراقها في الأصقـــاع الأخرى -وبتقتير- إلا في مذابح الآلهة تســـتخدم عند العرب في إيقاد التناوير، وجعل مـــن بعــض الأعشاب العطرية، التي لا يظهرون منها في البلدان الأخرى سوى عينات صغيرة، تستعمل في صناعــة أسرّة الخدم.

ويجمع من شتى أرجائها بوفرة كل من الكافور، الـــذي يدخل في الكثير من الاستعمالات المتباينة، والراتنج Résine [5]، والتربنتين Térébinth [6] المستطاب جداً أريجها. وينمو في الجبال بأعداد هائلة ليس فحسب كل من الصنوبر، والأرز، بل ايضاً السدر، والعرعر، والحُمْحُم Borrage [7]. ومعها، في الأخـــير، عدد آخر جم من النباتات التي تحمل ثماراً صالحة للأكـــــل، زيادة على ما تفرزه من عصارات، أو تفوح به من روائـــح تتلذذ بمداعبتها حاسة شم من يقترب منها. ويغطـــي هنـــا الأرض نفسها جو طبيعي شبيه بعبق أنواع البخور التي تحـرق تمجيداً للآلهة.

وحينما تحفر الأرض في بلاد العرب يعثر فيها في بعض الأماكن على عروق حجرية ذكية الرائحة تقودنا عند تتبعها إلى محاجر واسعة يستخرج منها العرب ما يشيدون به مساكنهم من حجارة. وعندما تتساقط من السماء بعض قطرات المطر على هذه الحجارة، فإن الجزء الذي يذيبه الماء منها إلى ما بين فواصل القواعد يتصلب فيها مشكلاً مادة تثبيت تعمل على ضمها جميعاً، وعلى شد الأجزاء المختلفة للجدران بمجملها شداً متيناً.

50 — ويستخرج الذهب في بلاد العرب من باطن الأرض، ويسمى بالابير Apyre . ولا يحصل عليه فيها، كما هو الحال في الأصقاع الأخرى، في شكل شذرات تجمع ثم تصهر، بل أنه عندما يجري التنقيب عنه في الأرض يعثر عليه في شكل قطع بحجم ثمرة القسطل. وهذا الذهب هو بلون شعلة بالغة التألق لدرجة انه إذا ما باشر صنّاع مهرة تشكيل قطعه، وبما يرمي لأن تطعم بالأحجار الكريمة، فاهم يصنعون منها حلياً لا يضاهيها في

جمالها كل ما سواها. من جانب آخر، فإن قطعان الماشية، على اختلاف أنواعها، هي في هذه الرقعة السعيدة من الكثرة ما جعل عدد من القبائل تحيا فيها حياة بدوية صرفة، معتمدة بصورة كبيرة في قوتها على ما تزودها به قطعانها، وبما يغنيها عن الحاجة في ذلك لاستخدام القمح.

وتعيش في الجزء المتاخم لسوريا الكثير من الوحوش الضارية، وفيه من الأُسود والفهود ما هو أكبر حجماً، وأشد قوة، وأكثر عدداً منه في ليبيا، علاوة على النمر المسمى بنمر بابل. كما توجد فيه حيوانات ذات فطرة مزدوجة، وتبدو كنتاج لمزيج من أشكال مختلفة. وتدخل النعامة في تعداد هذه الحيوانات، حيث أنها تجمع بين السمات الخارجية للجمال والطيور حسبما يدل على ذلك اسمها في اللغة الإغريقية [8]. فهي تقريباً بحجم جمل مولود حديثاً، يكسو رأسها شعر رقيق، ولها عينان كبيرتان سوداوان، وتشبه الجمل تماماً في شكلها ولونها. كما أن لها عنقاً طويلاً جداً، ومنقاراً صغيراً مستدقاً، وينتهي جناحاها وذنبها برِفلٍ لينه مغطاة بالشعر.

وهي تبدو من خلال ساقيها اللتين تحملانها، واللتين تنتـــهي كل واحدة منهما بحافر مشقوق إلى نصفين، وكأنها تنتمـــي على حد سواء إلى الحيوانات التي تعيش علـــى الأرض، وإلى الطيور التي تحلق في السماء.

وفي حين أنه ليس بمقدورها لا التحليق ولا الطيران نتيجة ثقل وزن جسمها، فإن لديها القدرة على العدو علـى الأرض بسرعة، وبصورة لا تكاد فيها أن تلامسها سوى ملامســـة. كذلك، فإنها تستعمل في الغالب حافريها كمقلاع لقـــذف الحجارة على الصيادين الذين يطاردونها على ظهور الخيـــل، وتتوفق في التصويب بصفة تؤدي في الغالب إلى إســـقاطهم تحت وطأة عنف ما تقذفهم به. وفي اللحظة التي تدرك أنـه تم الإمساك بها، فإنها تغرس رأسها أما في إحدى النَبْتَـــات أو في أي مخبأ آخر.

ولا يرجع فعلها لذلك إلى غبائها أو إلى نوع مـــن قلـــة البصيرة لديها مثلما هو في الاعتقاد الشـــائع عنـــها، الـــذي يستوحي من تصرفها أنها تظن بأنها إذا لم تر الآخرين فإنها لن ترى، بل أنه يرجع إلى معرفتها بأن رأسها هو أقـــل ســـائر

أجزاء جسدها حماية. وهكذا، فإن الطبيعة تعد أفضل معلـــم لكل الحيوانات، وترشدها ليس لما ينبغي أن تحتاط له من أجل الحفاظ على حياتها هي فحسب، بل ومن أجل سلامة خلفـها أيضاً. وبواسطة هذا الحب الغريزي للحياة الذي غرسته فيها، فإنها تضمن للأنواع استمرار نسلها علـــى امتـــداد عصـــور الدهـــر المتعاقبة.

51 - ويـــدخـــل ضمن الحيوانـــات رباعية الأرجـــل التي تعيش في بــــلاد العـــرب الجمـــل الفهـــد Camélopardalis ، الذي يبدو في شكله وكأنه مزيـــج من الحيوانين اللذين يتكون منهما إسمه. ويعد الجمل الفهد أصغر حجماً من الجمل، وأقصر منه عنقـــاً. وهو كالفهد من حيث هيئة رأسه وعينيه، وكالجمل من حيث عموده الفقري المقوس في هيئة سنام. وهو بالنسبة إلى لون شعره وجلده، يشبه الفـــهود الـــتي يقترب منها أيضاً في طول الذيل.

ويوجد في هذه الربوع أيضاً كل مـــن الأيـــل التيـــس tragélaphe، والحيرم bubale، وكذلك العديد مـــن الحيوانـــات

ذات الفطرة المزدوجة التي تجمع في تكوينها مظاهر لأنواع مختلفة.

وقد يكون هناك إغراق في الحديث عند وصفها جميعاً بالتفصيل، ولكننا إذا نظرنا إليها بصورة إجمالية، فإنه يمكن القول بأن البلدان الواقعة إلى الجنوب تسرى فيها على ما يبدو، وبتأثير من الشمس، قوة حيوية كبيرة تعمل فيها على ظهور أكثر أعداد الحيوانات تنوعاً وأجملها. وكنتاج لهذا التأثير، خرجت إلى الوجود في مصر كل من التماسيح وحيوانات فرس النهر، وظهرت في أثيوبيا، وفي قفر ليبيا، هذه الأعداد الكبيرة من الأفيال، وهذه الثعابين المتنوعة جداً أشكالها، وهذه العظاءات التنينية dragons، والكثير غيرها من الحيوانات المفترسة التي تلفت إليها النظر بكبرها وقوتها. وفي الأخير، فإنه وجدت في الهند، ونتيجة لنفس السبب أيضاً، تلك الكثرة من الأفيال التي تفوق جميع ما سواها ضخامة وقوة.

هوامش النص :

(1) أنظر :

Micropaedia of the New Encyclopaedia Britannica, (Chicago : Encyclopaedia Britannica Inc., vol. 4,1985) p.107.

(2) نبات من الطيوب ، وتعرف الكلمة في مرجعيتها اللاتينية، بـ"كوستاموم" Costamum أنظر:

F. Gaffiot, Dictionnaire Latin-Français, (Paris: Hachette, 53 éd, 1991) p. 437.

(3) يعرف أيضاً بـ "السعدة" و "السعادي"، وهو عشب معمر ينبت في الوديان،، وله عروق طيبة الريح تنمو في شكل ارومة مدحرجة سوداء صلبة كأنها عقدة. أنظر: محمد حسن آل ياسين، معجم النبات والزراعة، (بغداد: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ج 1، 1986م)، ص 230.

(4) تضم فصيلة النباتات النجيلية أنواعاً عدة من بينها الحوذان النجيلي، والسوسن النجيلي، وغيرهما. لمزيد التفصيل، انظر : معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مصدر سابق، ص 309، وص 378، و ص 596.

(5) كلمة فارسية معربة معناها صمغ الصنوبر، ولذلك كانت تطلق عند العرب على صمغ الصنوبر خاصة، وعند بعضهم هو صمغ الصنوبر السائل، وأما الجاف منه فاسمه قلفونيا. وأما الآن فإنها تطلق بحسب ما اصطلح عليه المتأخرون على كل مادة صمغية تخرج من سوق الأشجار مختلطة بمادة دهنية تجعلها سائلة. انظر : بطرس البستاني، دائرة المعارف، (بيروت: دار المعرفة، مج 8، 1877-1900)، ص 454.

(6) شجرة تسمى ثمرها بالحبة الخضراء، وهي تنتمي إلى الفصيلة البُطمية التي تضم كذلك كل من الفستق، والأبنج، والبلاذُر الامريكي، الخ. أنظر: معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، نفس المصدر، ص 26، وص 555.

(7) يعرف أيضاً بالحِمْحِم، أو لسان الثور في الترجمة العربية للكلمة اليونانية بوغُلصن، وهو نبات ينتمي إلى فصله الحمحميات التي تشمل كذلك رقيب (عباد) الشمس، وأذن الفأر، والسيفيتون، إلخ. لمزيد التفصيل، أنظر: نفس المصدر، ص 50.

(8) الكلمة التي كانت تطلق على النعامة في اللغة الإغريقية هي الطير الجمل Struthocamelos (من ملاحظات مترجم النص إلى اللغة الفرنسية).

النص الثاني

اشتمل الجزء الثاني على نص رئيسي آخر ورد في الكتاب الثالث منه، وتألف مما تضمنته الفقرتـــان (46) و (47) مـــن الفقرات التبوييبية التي توزعت عليها مادة هذا الكتاب. ويمدنا المؤرخ ديودور الصقلي هنا بمعلومات متنوعة عـــن العربيـــة السعيدة وسكانها، مع الاسترســـال في التفـــاصيل المختلفـــة الخاصة بطيوب ها، وهو استرسال يتبرر بكونه يتعلق باحدى أكثر المسائل التي كانت تدغدغ النفوس عند الحديث عنـــها. إلا أن إشكالية الدقة لم تكن، في نفس الوقت، بغائبة عن هذه المعلومات، وقد حاولنا في سياق الترجمة الإشارة إلى النقـــاط البارزة بهذا الخصوص. وفيما يلي ما كتبه ذلك المؤرخ في هذا النص، مع ملاحظة أن ما ذكره فيه عن العربية السعيدة جـــاء

امتداداً لحديثه عن بلاد العرب والأقوام التي تعيش في أرجائها(*) :

46 – ويأتي من بعدهم الكارب Carbes [1]، ومن ثم السبئيون، وهما القومان الأكثر عدداً من غيرهما في بلاد العرب قاطبة. ويعيش هؤلاء في الرقعة المشهورة باسم العربية السعيدة، البلد الذي يعج بأكثر الخيرات حظوة في نظرنا، والذي تعيش فيه كمية هائلة من كل أنواع قطعان الماشية. وتفوح أرضه بأريج طبيعي، وتنبت فيها تقريباً، ودون انقطاع، كل الطيوب الثمينة، ففي الساحل ينمو البلسم والسنط، ونبات آخر ذو طبيعة خاصة، حيث أنه يغري النظر بجماله إذا كان ما يزال حديث القطاف. ولكنه ما أن يشرع في الذبول والضمور حتى، إذا جاز القول، يتلاشى كلية. أما أراضي الداخل فأنها عبارة عن احراج كثيفة تنبت

(*)للرجوع إلى النص في النسخة التي استعنا بها، أنظر:
Bibliothéque Historique de Diodore de Sicile, Op. Cit., Tome 2, pp. 82-86.

فيها أشجار كبيرة تعطي البخور والمر. ويعثر فيه هاهنا على أشجار النخيل، والقَنَّا Canne[2]، والكافور، وعدد آخر جم من الشجيرات التي تنتمي إلى نفس الفصيلة، والتي يستحيل حصر منافعها بالنظر إلى ضخامة عددها، والتنوع غير المحدود فيما تحفل به من روائح.

غير أن هناك شيئاً إلاهياً تماماً ليس بمقدور أية لغة أن تعبر عنه، ويتمثل في مفعول كل تلك الروائح الشذية التي تغشى حواسنا وتستثيرها. ويحظى البحارة، مع ما يفصلهم عن البر، بنصيب من هذه المتعة اللطيفة حينما تهب رياح الربيع من البر وتحمل معها إلى البحر المجاور له شذى الروائح الفواحة من شجرة المر والنباتات الأخرى الشبيهة بها. إذ أن هذه الطيوب ، التي تصل إلينا ضامرة أو كان قد مضى على قطافها فترة طويلة، تتميز بأنها تفوح، وهي ما تزال غضة، بما ينسلب إلى أرق تفرعات أعضاء حواسنا.

لذلك، وعندما تصل إلى المراكب التي تسير بمحاذاة الشاطئ نسمة مشبعة بالروائح الشذية، فإن المسافر يستنشق

مزيجاً منعشاً بقدر ما هو مستطاب من أجود أنواع العطـــور. ولا يتعلق الأمر هنا بمجرد أريج ضعيف منبعث مـــن ثمـــرة سقطت عن الشجرة التي كانت تحملها واستنفدت قواها، بل أنه أريج النبات نفسه الذي بلغ أوج نضجه الفعلي، والذي لم يفقد عوده البري أي من خصائص مكنونه الاهي. لذلـــك، فإن كل الذين خبروا هذه الطيوب وهي بكل نضارتها إمـــا يخال اليهم بأنهم تذوقوا الرحيق الإلاهـــي العجيـــب، أو لا يجدون على الأقل عبارة تصور انطباعات بمثل ذلك القدر من الاستطابة.

47 – لكن القدر لا يهب للبشر أبداً ســـعادة مكتملـــة لدرجة أنه لا يظل لديهم شئ يمنون به النفـــس، ويدخل دائماً مع مننه الكبرى القليل من المشـــاق، ليعتبر بها من قد يجرهم الاعتيـــاد علـــى النعيـــم المتواصل إلى ازدراء الألهة. ففي تلـــك الأحـــراج العطرية تعيش أعداد كبيرة من الثعابين لا يتجـــاوز طولها سيتام Spithame واحد [3]، ويتعذر الشفاء مـــن لدغاتها. وهي تندفع لمهاجمة البشر واثبة، وتعمـــد إلى تمزيق جلودهم جاعلة من الدم يتدفق منها.

وسكان البلد هم، زيادة على ذلك، عرضة لمرض خاص وخطير يتسبب في إنهاكهم. فغالباً ما تؤدي الروائح التي تخترق الجسم، بما فيها من قوة وبطبيعتها الحادة، إلى تورمه وجعل اجزائه الصلبة ترتخي وتضعف. ويترتب عن ذلك نوع من التحلل الذي تصعب جداً مداواته. وقد جرت العادة في مثل هذه الحالة بأن يحرق القير والشعر المتأتى من لحاء التيوس حول المريض، ليتم بواسطة الدخان المتصاعد منهما مقاومة قوة عبق الروائح المنتشرة في الهواء بما هو مضاد لها في الطبيعة.

وهذا لأنه بقدر ما تكون نِعم الطبيعة، حينما تستخدم بترو واعتدال، نافعة للبشر وتيسر لهم متعهم، فإنها تصبح مِنّة خطرة أو غير ذات فائدة إذا ما أسرفنا في الاستمتاع بها، وفيما ليس بمحله.

وتسمى العاصمة المشيدة على ربوة بمدينة سبأ(*). ويحكم البلد ملوك يؤخذون تباعاً من داخل نفس العائلة، ويحظون بتشريف بالغ. إلا أن الحسن يمتزج بالسيئ فيما تشترطه وضعيتهم. إذ يبدو عيشهم سعيداً لأنهم يسدون لغيرهم

(*) هي بالأحرى مدينة مارب.

الأوامر دون أن يكون عليهم تقديم حساب لأحد عن أعمالهم، ولكننا سنحكم عليهم بالتعاسة إذا ما أخذنا في الاعتبار أنه غير مسموح لهم الخروج من قصورهم، وإنه إذا ما حدث وابتعدوا عنها فأنهم يتعرضون للرجم من قبل الحشد المتجمهر عملاً بأوامر كاهن قديم [4].

ويبقى أن السبئيين لا يتفوقون، بما لديهم من ثروات ومنتجات ثمينة من شتى الأنواع، على ما عداهم من جيرانهم العرب فحسب، بل وعلى كافة شعوب العالم أيضاً. وتمنحهم مبادلة البضائع وبيعها، وإن كانت في أدنى حجم ممكن، ربحاً أوفر من ذلك الذي يجنيه من تجارته غيرهم من التجار الذين يبادلون بضائعهم بالمال في مختلف الأسواق. وبالتالي، فقد نتج عن ذلك، وعن كون أنه لم يسبق أبداً فيما تعيه ذاكرة الإنسان أن خضعوا لسيطرة أي كان، بسبب بعد أماكنهم، أن أصبح الذهب والفضة يغرقان، إذا جاز التعبير، البلد الذي يعيشون فيه، خاصة مدينة سبأ المشيد فيها قصر الملك.

فهنالك ترى شتى أشكال الآنية والكؤوس الذهبية والفضية المزخرفة بالنقوش، والأسرة والأثافي الفضية والكثير

من غير ذلك من الأثاث النفيس لدرجة لا تصدق، والباحات ذات العمدان المرتفعة المطلي بعضها بالذهب، والمنمقة أعالي بعضها الآخر بأشكال مصورة من الفضة، والسقوف ذات الهياكل الخشبية، والأبواب التي تكسوها انواط عريضة مثقلة بالأحجار الكريمة، والمساكن التي فيها، وكافة تفاصيلها، من الروعة ما يثير الإعجاب، وقطع الأثاث المصنوعة إما من الذهب والفضة، أو من العاج والأحجار الكريمة، أو من المواد الأخرى المأخوذة من بين ما كان أغلاها ثمنا في نظر البشر. وقد ظل الكثير من مثل هذه الثروات في التراكم نتيجة وجود رخاء لم يكدره عارض منذ الأزمنة الغابرة، ولاحتفاظ السكان بها بعيداً عن أولئك الذين قد يجعلهم الجشع ينظرون إلى ثروات الأمم الأخرى وكأنها هدية من عطارد[5].

ويحيط بالعربية السعيدة بحر يتسبب مثل ما في لونه من صفاء في أحداث مفاجأة كبيرة، ويثير في الآن نفسه الرغبة في البحث عن أسباب هذه الظاهرة. وتجاور الساحل جزر تكنى بـ "المحظوظة"، وذلك لكون المدن فيها غير محاطة بالأسوار. وكافة الحيوانات الموجودة هي بيضاء اللون، وليس لإناثها

قرون البتة. ويتردد على هذه الجزر تجار يفدون إليها من كل الأصقاع، لاسيما من بوتانا Potana ، المدينة التي عمل الاسكندر على تشييدها على ضفة نهر الهندوس، حينما أراد هذا الغازي أن تكون له محطة بحرية على شواطئ المحيط .

هوامش النص :

(1) هناك أكثر من وجهة نظر حول هذه المسألة ورد البعض منها في القسم الأول، والأرجح بحسب ملاحظات د. يوسف محمد عبدالله على مسودة هذا العمل أنهم من ساحل تهامة.

(2) كلمة معربة مستمدة من اللغة اليونانية تشير إلى جنس من الزهر، وقد كانت تطلق على القصب والاسل مما كان يستعمل في صناعة الحصر. انظر: معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مصدر سابق، ص 107.

(3) حوالي ثماني بوصات (من ملاحظات مترجم هذا المؤلف إلى اللغة الفرنسية).

(4) تحدثنا النقوش التي عثر عليها إلى حد الآن، والتي تعود إلى فترات تاريخية مختلفة، عن إيقاعات حياة نجد فيها الملك يخوض الحروب، ويقود الجيوش. . إلخ، وهو ما يتنافى مع التصور الذي قدم في سياق هذا النص، وفي سياق نص آخر لاحق. لمزيد التفصيل، انظر: مطهر علي الإرياني، في تاريخ اليمن: نقوش مسندية وتعليقات، (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط 2، 1990)، 528ص.

(5) يقصد بهذا التعبير، كما أشير إلى ذلك في الترجمة الفرنسية، النظر إلى أن الاستحواذ على هذه الثروات هو من قبيل الاستحواذ على غيرها من الغنائم.

ثالثاً : جغرافية استرابون

أُستُمد الجزء الأكبر من مادة المختارات من المؤلف الموسوعي الذي أعده الجغرافي الإغريقي الشهير استرابون (حوالي 63ق.م. – 24م.)، والذي نشر تحت عنوان "جغرافية استرابون". وكان قد عرف أن له أيضاً مؤلف آخر، إلا أنه فقد. وفي المقابل، فإن مؤلفه الجغرافي المشار إليه، الذي اشتمل على وصف كل أجزاء العالم المعروف آنذاك، احتفظ بكامل محتوياته تقريباً[1].

ويستخلص من النظر في أجزاء هذا المؤلف، وعددها – في النسخة التي استعنا بها والصادرة عن دار النشر الفرنسية هاشت Hachette – أربعة أجزاء، أن استرابون كان، إلى

جانب ما ذكره هنا وهناك بصورة عرضية، قد خصص ثلاثة نصوص متفاوتة الطول للحديث عما تندرج مضامينه في إطار موضوع المختارات. وقد وردت هذه النصوص أساساً في الفصلين الثالث والرابع من فصول الكتاب السادس عشر (الجزء الثالث)، واحتوت على كم متنوع من المعلومات الجغرافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، . . إلخ.

والملاحظ أن من بين ما يزيد في أهمية ما كتبه استرابون يتمثل في اغنائه لما قدمه من معلومات بمعلومات كانت، كما ألمح إلى ذلك، حصيلة ما قام بتلخيصه أو اقتباسه من عدة مؤلفات أخرى يعود بعضها إلى فترات تاريخية سابقة على عصره. وعلى اعتبار أن الكثير من مثل هذه المؤلفات، وكما أشير إلى ذلك في أكثر من موضع سابق، قد فقد أثره، فإنه اسهم، هو وغيره، وبصفة غير مباشرة، في الحفاظ على ما ساعد على التعرف على أعداد من الكتَّاب الذين تطرقوا في مؤلفاتهم إلى ما يرتبط بتاريخنا القديم، وما مكن من تبين، ولو قدر يسير، مما انطوت عليه من معلومات وكذا محاور اهتماماتها، والخروج من ذلك بمؤشرات مختلفة الأبعاد

والدلالات. وسنحاول في السياقات التالية المخصصة لتقديم وترجمة تلك النصوص، التوقف عند أبرز الأسماء التي تمت الإحالة إليها، والإسهام ببعض التوضيحات الإضافية حولها.

النص الأول

ورد النص الأول في الفصل الثالث، وتكونت مادته من معظم الفقرات التبويبية لهذا الفصل البالغ عددها سبع فقرات. وكانت هذه المادة قد توزعت على وجه التحديد ما بين بعض مقاطع الفقرة الأولى التي تبدأ مع شروع استرابون في الحديث عن العربية السعيدة -بعد أن كان قد استهل هذه الفقرة بمدخل قصير عن الحدود الشمالية لبلاد العرب والجزء الصحراوي منها – وما تلاها بعد ذلك وصولاً إلى الفقرة السادسة.

وقد سعى استرابون في هذا النص للتعريف بالعربية السعيدة من الناحية الجغرافية، وعلى مستوى موقع وجودها ونطاق ساحلها الشرقي خصوصاً، وشكل ايراتوستن

Eratosthene [2] في ذلك المصدر الرئيسي لمعلوماته. وفيما يلي ترجمة ما جاء في سياق ما ذكره هنا (*) :

1 – (. . .) وإلى الجنوب من هذه الصحارى، تبدأ الآن العربية السعيدة التي تتخذ موقعاً يحدها فيه من الشمال الصحراء التي اتينا على ذكرها، ويحدها من الشرق الخليج الفارسي (**)، بينما يحدها من الغرب الخليج العربي(***)، ويحدها، في الأخير، من الجنوب البحر الكبير (نفضل استعمال الاسم الأخير حينما لا يكون مقصد حديثنا ليس إلا ذلك الجزء من البحر الخارجي الواقع بين الخليج الفارسي والخليج العربي، وذلك لكون اسم البحر الإريتري يشمل أيضاً كلا الخليجين).

(*)للرجوع إلى النص في النسخة التي استعنا بها، أنظر:
Géographie de Strabon, Trad. par Amédée Tardieu, (Paris: Librairie Hachette et Cie, Tome 3, 1880), pp. 354-357.

(**) الخليج العربي حالياً.

(***) البحر الأحمر حالياً.

2 – ويسمى الخليج الفارسي في الغالب بالبحر الفارسي أيضاً، لاسيما من قبل ايراتوستن، الذي جاء في وصفه له مايلي:

"إن مدخل هذا البحر، كما يقول، هو مدخل جد ضيق لدرجة أنه يمكن للمرء من رأس هرموزا الواقع على ساحل قرمانيا Carmanie أن يشاهد رأس مكاي Macae (*)، الناتئ على ساحل بلاد العرب، في مواجهته تماماً. ويأتي الساحل، بداية من الناحية اليمنى للمدخل، في شكل خط منحنى لا يلبث عند الوصول إلى قرمانيا أن ينحرف قليلاً باتجاه الشرق، قبل أن يتجه نحو الشمال، ليعود مجدداً نحو الانحراف باتجاه الغرب، وهو الاتجاه الذي يبقى محافظاً عليه وصولاً إلى تيريدون Teredon وإلى مصب نهر الفرات، قاطعاً هكذا، ولما يناهز طول مسافته نحو عشرة الآف مرحلة[3]، كل من قرمانيا، وفارس، والساسان Susian [4]، وجزء من بابل".

وكنا نحن قد قمنا سابقاً بوصف مختلف هذه الربوع. وما يضاف إلى ذلك هو أن ايراتوستن كان قد أحصى، بداية من

(*) رأس مسندم حالياً.

مصب نهر الفرات وحتى مدخل الخليج، إي بطول الساحل المقابل، نفس العدد من المراحل بالتمام، معتمداً في ذلك على شهادة اندروستن التاسوسي Androsthéne de Thasos، الذي كان قد رافق نيارك Néarque حتى مصب نهر الفرات، قبل أن يعهد إليه التكفل لوحده بإتمام استكشاف الخليج [5]. وما يستنتج بديهيا هنا هو أن مساحة البحر الفارسي تعادل تقريباً مساحة بحر بُنت - اوكسين Ponte - Euxine [6].

ويمدنا ايراتوستن ، حول الجزء الآخر من الرحلة الاستكشافية، ببعض التفاصيل التي كان قد حصل عليها من اندروستن نفسه، حيث يصف لنا مغادرته مع الأسطول لتيريدون ودورانه حول أقصى الخليج ثم سيره من هناك، وقد أصبح البر على ميمنته، إلى أن بلغ إحدى الجزر التي تسمى بجزيرة ايكار Icare والتي تبدو ملتصقة بالساحل، وكذا اشارته إلى أنه يوجد فيها، في نفس الوقت، معبد لابولو Apollon [7]، وكاهن يدعى ارتيميس توروبول Artémis Tauropole.

3 – وحينما نبحر على ساحل بلاد العرب لمسافة 2400 مرحلة، فاننا نصل إلى مدينة تعرف بجرها Gerrha، وهي مدينة تقع داخل خليج جد غائر في البر يقطنها سكان تعود أصولهم إلى إحدى الجماعات الكلدانية التي تعرضت للنفي من بابل. ويعيش هؤلاء، إذا جاز التعبير، وسط الملح، حيث أن كل الأراضي المحيطة بالمدينة مشبعة بالملح تماماً، لا بل أن المساكن نفسها مبنية من قطع كبيرة من الملح. ولكون هذه الملح عرضة على الدوام للتشقق بفعل أشعة الشمس، فإنه لا توجد طريقة أخرى أمام السكان للحفاظ على تماسك مساكنهم سوى العمل على رشها بالماء بصفة مستمرة.

وتبعد مدينة جرها عن البحر مسافة مأتين مرحلة. وتتمثل وسيلة الكسب الرئيسية بالنسبة إلى الجرهيين في نقل طيوب بلاد العرب وغيرها من البضائع عن طريق البر. بيد أن هذا ليس هو ما يذهب إليه ارستوبول Aristobule : فهو يؤكد، على العكس من ذلك، بأن الجرهيين يسلكون بوجه

خاص الطرق المائية في تجارهم، حيث أهم يقومـــون بنقـــل بضائعهم إلى بابل بواسطة المراكب، ثم يسيرون بهـــا في نهـــر الفرات إلى أن يصلوا إلى ثابســـاك Thapsaque (8)، قبـــل أن يسلكوا من هناك فحسب طريق البر للســـير نحـــو مختلـــف وجهاهم.

4 – وتقابلنا عندما يتقدم بنا المسير لمسافة غـــير بعيـــدة جزيرتان أخريان هما تيروس Tyrus وارادوس Aradus، اللتان تحتضنان معابد شـــديدة الشـــبه في شـــكلها بالمعابد الفينيقية. ويذهب السكان إلى حد الادعـــاء بأن جزيرتيهما هما بمثابة مركزين لجزر ومدن أخرى تحمل نفس الأسم، وتعـــود في تبعيتـــها لفينيقيـــا Phénicie(9). ولا تبعد هاتـــان الجزيرتـــان، اللتـــان تفصلهما عن تيريدون مسافة عشرة أيـــام، ســـوى مسافة يوم واحد عن رأس مكاي الوقع عند مدخـــل الخليج تماماً.

5 – وإلى الجنوب من قرمانيا الآن، وعلى بعـــد ألفـــي مرحلـــة داخـــل البحـــر، يحـــدد نيـــارك

واورتاغوراس Orthagoras موقع جزيرة تيريني Tyriné، كما انهما يشيران إلى أنه يوجد في هذه الجزيرة ضريح مرتفع تظلله أشجار من النخيل البري، مع الزعم بأنه قبر إريتراس Erythras . ويضيف نيارك بأن إريتراس، الذي كان ملكاً قديماً في هذه الرقعة، هو بعينه الذي كان قد أورث اسمه للبحر الإريتري، وأنه كان هو واورتاغوراس قد حصلا على هذه التفاصل من فم ميتروباستس Mithrôpastés ، نجل ارينوس Aréinos، مرزبان فريجي Phrygie [10].

ويبدو أن ميتروباستس كان قد أقام في هذه الجزيرة ردحاً من الزمن، بعد أن اضطر للفرار خوفاً من غضب داريوس Darius [11]. وكانت الفرصة قد أتيحت له بعد ذلك، وحينما دخل الأسطول المقدوني إلى الخليج الفارسي، بأن يتحدث إلى قادته، وأن يطلب حينئذ الحصول على وسيلة تمكنه من العودة إلى بلاده.

6 – وتحيط بساحل البحر الإريتري كله غابة مائية حقيقية مكونة من أشجار تشبه كثيراً أشجار الغار

والزيتون. وتبرز هذه الغابة خارج الماء بصورة كلية في حالة الجذر، إلا أن مياه المد تغمرها أحيانا فتختفي تماما. ومما يزيد هذه الوضعية غرابة هو الافتقار المطلق للأشجار على امتداد بر ساحل البلد بكامله.

لقد كان هذه هو ما قدمه ايراتوستن من وصف للبحر الفارسي، الذي يحد العربية السعيدة من الناحية الشرقية كما أسلفنا القول.

هوامش النص :

(1) لمزيد التفصيل، انظر: الموسوعة العربية العالمية، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، مج 12، 1996)، ص 156. وكذلك :

Le Petit Robert 2, Op. Cit., p. 1708.

(2) عالم فلك وكاتب وشاعر اغريقي ولد في سيرن Syrene بليبيا سنة 276 ق.م. تقريباً، وتوفي في الاسكندرية في حوالي سنة 194 ق.م. درس في اثينا والاسكندرية التي واصل بعد ذلك أقامته فيها، وأصبح في حدود سنة 255 ق.م. مديراً لمكتبتها الكبرى. من أبرز إسهاماته العلمية قياسه لمحيط الأرض، وكان حسبما يعرف أول من قام بذلك . أنظر :

Micropaedia of the New Encyclopaedia Britannica, Op. Cit., vol. 4, p.536.

(3) يصل طول المرحلة الواحدة إلى 177.6م (من ملاحظات مترجم هذا المؤلف إلى اللغة الفرنسية).

(4) تدخل الكثير من أجزاء هذه الربوع في إطار ما يعرف حالياً بإيران.

(5) ولد الاسكندر المقدوني، القائد الحربي الشهير الذي أمر أسطوله بالقيام بهذه الرحلة الاستكشافية، في مدينة (بلا) سنة 356 ق.م. ، وخلف والده على عرش مقدونيا سنة 336 ق.م. خلده التاريخ بغزوه واستيلائه على مصر، ثم فارس وما ورائها، فالهند وصولاً إلى المحيط. وكان هذا القائد، وكما أشار ااسترابون إلى ذلك، قد حلم بجعل بلاد العرب مقر حكم امبراطوريته، وأنه كان، قبل أن يباغته الموت سنة 323 ق.م.، في أوج الاستعداد للاستيلاء عليها بالقوة، بعدما كان قد انتظر مجيئ العرب ليقدمون له الولاء والطاعة ويتولون هم بانفسهم استدعاءه. انظر : محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، مصدر سابق، مج 1، ص ص 311 – 318. وكذا :
Géographie de Strabon, Op. Cit., pp. 394-395. .

(6) هو ما يعرف حالياً بالبحر الأسود، أنظر:
The New Americana Encyclopaedia, Op. Cit., vol. 16, p. 5842.

(7) هو إله النور والموسيقى والشعر والنبوءات عند الإغريق. وكان معبده في دلفي باليونان من أهم المعابد بالنسبة إليهم، حيث كانوا يَقْدِمُون إليه للبحث عن ردود لتساؤلاتهم ومشاكلهم والحصول على تنبوءات حولها. أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، مصدر سابق، ج 1 ، ص 41.

(8) هي مدينة قديمة في الجزء الشمالي من سوريا الوسطى، على نهر الفرات عند مخاضة كانت المعبر الرئيسي في منطقة تمتد مئات من الكيلو مترات. انظر: نفس المصدر ، ص 577.

(9) كانت هذه التسمية تستعمل في سياقات تاريخية قديمة للإشارة إلى البلاد التي نشأت فيها الحضارة الفينيقية، والتي كانت تحتل المنطقة الواقعة ما بين صور وصيدا. وقد كان الفينيقيون يعملون في الملاحة والتجارة، واستطاعوا أن يصبحوا منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد سادة البحر المتوسط، دون أن ينافسهم أحد سوى الملاحين الإغريق. أنظر: نفس المصدر، ج 2 ، ص 1356.

(10) هي بلاد وجدت قديما فيما يعرف في الوقت الحاضر بتركيا الوسطى، وامتدت مساحتها ما بين البحر المتوسط والبحر الأسود. وكانت مملكة فارس قد

سيطرت عليها في القرن السادس قبل الميلاد، ثم وقعت فيما بعد تحت سيطرة كل من الإغريق والرومان. انظر: الموسوعة العربية العالمية، مصدر سابق، مج 17، ص 347.

(11) داريوس، أو دارا أيضا، هو لقب لملوك فارس القديمة. وقد عاش داريوس الأول (العظيم) في الفترة مابين حوالي (549ق.م. – 485 ق.م) . انظر : الموسوعة العربية الميسرة، نفس المصدر، ج 1 ، ص773.

النص الثاني

أتى النص الثاني في الفصل الرابع، وتشكلت مادته مما ورد في عدد من الفقرات التبويبية الأولى لهذا الفصل، الذي تضمن أيضاً في سياق فقراته الأخيرة نصاً آخر سنعود إليه لاحقاً. وقد اشتملت هذه المادة على جزء كبير مما جاء في الفقرة الثانية - التي كان استرابون، وقبل أن يبدأ بالحديث عن العربية السعيدة، قد استهلها كذلك، ومثلما هو الشأن بالنسبة إلى النص الأول، بمدخل قصير عن العربية الصحراوية- وما جاء في الفقرتين المواليتين لها.

والملاحظ أن استرابون عاد مجدداً في هذه النص للاهتمام بالعربية السعيدة من الناحية الجغرافية، مع التركيز فيه على وصف جغرافيتها ونطاق ساحلها الغربي خصوصاً. كما أنه قام، في نفس الوقت، بالالماح في إطار وصفه إلى بعض ما

اتسمت به اوجه الحياة السياسية والاقتصادية فيها، معتمداً في عمله على ما استمده هنا أيضاً من ايراتوستن(*). وهذه فيما يلي ترجمة ما ورد في نصه هذا (**) :

2 – (. . .) ويتمثل ما يأتي الآن بعد هذه القبائل في العربية السعيدة، التي تمتد على ما مساحته 12 ألف مرحلة، والتي تنبسط من الجنوب وصولاً إلى البحر الأطلنطي Atlantique(***). ويعيش في العربية السعيدة سكان هم حصراً من المزارعين، ويعدون أول أمثالهم الذي نقابلهم من بعد السكان المزارعين في سوريا وجوديه . وتأتي من ثم رقعة رملية ومجدبة لا يعدو كل ما تجود به من نبات على القليل النادر من أشجار النخيل، والسنف acanthes (1) والأثل، والتي لا يوجد فيها كما هو الشأن في جيدروزي Gédrosie

(*) أشار استرابون إلى هذه المسألة قبل نهاية النص، كما أنه أشار إليها أيضاً في بداية الفقرة الثانية التي لم تشملها الترجمة من منطلق ما ذكر أعلاه.

(**) للرجوع إلى هذه النص في النسخة التي استعنا بها، أنظر:
Géographie de Strabon, Op. Cit., pp. 359-362.

(***) البحر المتوسط.

[2]، سوى مياه الآبار. وسكان هذه الرقعة هم فحسب من العرب، والرعاة أو مربي الإبل.

وعلى العكس من ذلك، فإن أقصى جنوب البلد، أو بعبارة أخرى ذلك الجزء من بلاد العربية الذي يبدو من امتداده أنه يتجه للالتقاء مع اثيوبيا، تتهاطل عليه أمطار الصيف بكثرة، ويتاح فيه موسمان للحصاد في السنة الواحدة مثلما هو الحال في الهند. وتوجد فيه، إضافة إلى ذلك، بعض الأنهار أو الوديان، التي ينتهي بها جريانها أما بالتلاشي في السهول أو البحيرات Lacs. كما أن كل محاصيل أرضه ممتازة، علاوة على أنه يجود بالكثير من العسل، وتربى فيه كمية كبيرة جداً من قطعان الماشية، التي لا يدخل ضمنها، في حقيقة القول، لا الخيول ولا البغال ولا الخنازير، مثلما لا نجد كذلك لا الدجاج ولا الاوز من بين تلك الكثرة من أنواع الطيور الداجنة التي تربى فيه.

ويتقاسم العيش في اقصى بلاد العرب أربعة أقوام رئيسية: المعينيون، وذلك على امتداد البحر الإريتري بعاصمتهم قرنا

Carna أو قرنانا Carnana (*)، يليهم مباشرة السبئيون بمدينتهم الرئيسية ماريبا Mariba (**)، فالقتبانيون ثالثا، الذين تمتد أرضهم لتصل إلى القناة الضيقة التي يتم منها عادة عبور الخليج، والذين يتخذ ملوكهم من مدينة تسمى تمنا Tamna (*) مقراً لإقامتهم، ثم أخيراً، وفي أقصى شرق البلد، الحضرميون بمدينة سباتا Sabata كعاصمة (**).

3 – وتنعم مختلف هذه الحواضر، التي تؤلف فيما بينها دولة ملكية واحدة الذات، بكل مظاهر الرخاء، وتزدان جميعها بالمعابد والقصور الرائعة. أما مساكنهم فإنها تذكرنا من ناحية هيكل سقوفها الخشبي بالمساكن المصرية تماماً. وتفوق المساحة التي تغطيها هذه الأقاليم nomes مجتمعة مساحة دلتا النيل. ولا تنتقل السلطة في هذه الملكية من الأب إلى الابن، بل إن من يعين لخلافة الملك الذي آلت

(*) قرناو.

(**) مارب.

(*) تمنع.

(**) مدينة شبوة التاريخية.

السلطة إليه هو أول طفل يولد من دم نبيل. لهـذا، جرت العادة بأن يتم في نفس الوقت الذي يجـري فيه القيام بتنصيب الملك، إعداد قائمة باسماء نسـاء كبار سادة البلاط اللاتي اتفق آنذاك ان كنا حوامل، وتعيين مراقبين على كل واحدة منـهن. وبذلـك، تحصل معرفة أولى من ستضع منهن مولودها، فـإذا كان ما وضعته غلاماً فان القانون يقضي بأن يؤخـذ منها، وأن ينشأ تنشئة ملكية باعتباره ولي العهد.

4 – وينتج الإقليم القتباني البخور خصوصـاً، وينتـج الإقليم الحضرمي المر خصوصاً. ويستخدم هـذان المحصولان الثمينان ومعهما الطيوب الأخـرى في المبادلات التي يجريها السكان الأصليون مع التجـار الأجانب، سواء مع القادمين منهم من ايلانـا Aelana [(4)] الذين امضوا سبعين يوماً لبلوغ الاقليم المعيـني (نعرف إن ايلانا تقع في أقصى الفرع الثاني للخليـج العربي، الذي يميل باتجاه غزه، والذي يسمى بفـرع

ايلات(*)، أو مع التجار الجرهيين الذين كان قـــد انتهى بهم المسير مدة أربعين يومـــاً بـــالوصول إلى الأقليم الحضرمي.

ويبلغ طول الخليج العربي، الذي يبدأ من أقصـــى فـــرع إيلات ويمتد بموازة بلاد العرب، (14) ألف مرحلة حســـب رواية الاسكندر وانا كسيقراطس Anaxicrates ، غير أن هـــذا الحساب مبالغ فيه قليلاً. فالساحل المقابل له، وهـــو نفـــس الساحل المتاخم للتروغلود Troglodytique، الذي نجده إلى يميننا إذا بدأنا الأبحار من هيروبوليس Héroopolis وواصلنـــا الســـير بمحاذاة الساحل، يبلغ في طوله وصولاً إلى بطليموس Ptolémais [3] وإلى منطقة صيد الافيال تسعة آلاف مرحلة. وفي اتجاهـــه نحو الجنوب، يحافظ هذا الساحل على امتداد تلك المســـافة على استوائه، باستثناء انحراف خفيف نحو الشرق في أحـــد المواضع. إلا أنه يبدأ من ثم وحتى الجزء الضيق في الخليـج، أي لما يبلغ طوله حوالي (4500) مرحلة، بالإنحراف نحو الشـــرق بصورة أكثر بروزاً.

(*) خليج العقبة حالياً.

ورأس ديري Diré ، بالمدينة الصغيرة التي تحمـــل نفـــس الأسم والتي يقطنها سكان يقتاتون جميعهم على الســـمك، يشكل على الضفة الاثيوبية مدخل المضيق الذي يتـــم منـــه المرور إلى الخليج العربي. ويبدو أنه مايزال يرى في ديري نصباً أو عموداً اقامه الملك المصري سيزوستريس Sésostris، وعليـــه كتابات هيروغليفية تخلد ذكرى عبور هذا الغازي للمضيـــق. وفي الواقع، فإن سيزوستريس، وبعـــد أن غـــزا الـــتروغلود واثيوبيا، وهو أول من فعل ذلك، مرَّ على الأرجـــح ببـــلاد العرب ثم ارتحل منها ليجوب منتصراً كل آسيا كما يســـتدل من الحصون المسماة بحصون سيزوستريس التي تصـــادف في مواضع لا حصر لها من هذه الرقعة، والكثير أيضاً من المعـــابد المشادة بالتأكيد على غرار نمط المعابد المصرية.

ويضيق الخليج على مستوى ديري لدرجة يصبح فيـــها عرضه لا يتعدى ستين مرحلة. بيد أن ما نسميه اليوم بالمضيق لا يوجد عند ديري، ويجب على الاصوب البحث عنه فيمـــا هو أبعد منها، وفي موضع ماتزال تبلغ فيه المسافة الفاصلة بين قارة وأخرى حوالي مأتين مرحلة، إلا أنه توجد به مجموعـــة

مكونة من ستة جزر تسد الخليج بصورة لا تترك فيه سوى ممرات ضيقة بشدة. إذ أن ذاك، كما سبق وقلنا، هو الموضع الذي يتم فيه نقل البضائع بين القارتين بواسطة المراكب، وهو الذي تجري الإشارة فيه إلى المضيق باتم معنى الكلمة. وبعد تجاوز هذه الجزر، يتواصل الإبحار على امتداد طول منطقة زراعة المر وصولاً إلى منطقة زراعة الكافور، وفي خط سير وجهته جنوبية شرقية. وإذا أخذنا في الحسبان أدنى ما في الساحل من تعرجات، فإن طول هذه الرحلة يقارب خمسة آلاف مرحلة. ولم يذهب إلى حد الآن، والحديث لا يزال هنا حسب ايراتوستن، أحد من البحارة إلى أبعد من منطقة زراعة الكافور. ويضيف ايراتوستن بأن قلة عدد المدن في الساحل يصل بها إلى حد الندرة، في حين إنها، في المقابل، كثيرة العدد في الداخل، وإنها في غالبيتها عامرة بالسكان.

هوامش النص :

(1) تعرف أيضا بالاقنثات، وهي كلمة معربة مستمدة من اللغة اليونانية التي تحمل فيها معنى الشوك. والسنف، أو الاقنثات، والمفرد اقنثا، جنس نباتات معمرة تصلح للتزيين. لمزيد التفصيل، انظر: معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مصدر سابق، ص 5. وكذا: عبدالولي أحمد الخليدي، دراسة أولية عن الغطاء النباتي الطبيعي لمدينة تعز وما حولها، في: حلقة العمل الوطنية الأولى حول المصادر الوراثية النباتية في اليمن، (حلب : المعهد الدولي للمصادر الوراثية النباتية، 1997م)، ص 84.

(2) تقع هذه المنطقة غرب نهر الهندوس، وتتبع حاليا إقليم بلوخستان الباكستاني. وكانت قوات الاسكندر المقدوني قد منيت عند عبورها لها سنة 325 قبل الميلاد بخسائر فادحة نتيجة طبيعتها الجغرافية وظروفها المناخية القاسية. انظر:
Micropaedia of the New Enyclopaedia Britannica, Op. Cit., vol. 5, p. 161.

(3) اسم أطلق قديما على عدد من المدن إجلالا لبعض أفراد أسرة البطالمة من بينها هذه المدينة، وهي مدينة صغيرة وجدت على الشاطئ الذي كان يدعي أحيانا بشاطئ "بطليموس تيرون" أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، مصدر سابق، ج1، ص381.

(4) هي مدينة ميناء إلى الغرب من مدينة العقبة الحالية، عرفت في التاريخ أيضا باسم ايلات اوأيلة نسبة إلى أيلة ابن مدين كما تورد ذلك بعض المصادر، وأدت في العهود القديمة وحتى العهد الإسلامي دورا في التجارة الخارجية. أنظر: نفس المصدر، ص291. وكذلك: الموسوعة العربية العالمية، مصدر سابق، مج 16، ص315.

النص الثالث

ورد النص الثالث أيضاً، ومثلما سبق أن نوهنا إليه، في الفصل الرابع من الكتاب السادس عشر، وجاءت مادته موزعه ما بين الفقرة (19) والفقرة (25) من فقرات هذا الفصل التبويبية. ويستنتج مما أورده استرابون في هذا النص أنه يتمثل، في مستوى أول وفي إطار الفقرتين (19) و (20)، في تلخيص ما ذكره ارتيميدور Artémidore [1] عن السبئيين، وما سرده من تفسيرات متعددة حول مصدر ما أطلق على البحر الأحمر والبحر الاريتري من تسمية. ويتمثل في مستوى ثان وفي إطار غالبية الفقرات المتبقية، في التوقف عند بعض الجوانب الرئيسية للحملة الرومانية على اليمن [*]، التي أمر

(*) سبق لنا نشر ما كتبه استرابون عن تلك الحملة في العدد الخامس عشر من مجلة الثوابت (يناير – مارس 1999، ص ص 43 – 48). ومع أنه لم يتم هنا سوى إدخال تنقيحات طفيفة جداً على الترجمة، فإنه تم في المقابل التوسع في الشرح والتعليق.

بتسييرها القيصر الروماني اغسطس [2]، وذلك سنة 24 قبل الميلاد تقريباً [3].

وإذا كان بالإمكان أن نصل من خلال مطالعتنا لهذا النص إلى إنه كغيره يتضمن من المعلومات ما يحتاج إلى إعادة التدقيق، فإن محاولة التفسير لها هنا خصوصياتها. لأنه، وفي حين قد لا يستبعد أن يقودنا البحث في المستوى الأول من النص إلى الاستخلاص بأن للعوامل الموضوعية دوراً أكبر في تفسير عدم دقة المعلومات الواردة في سياق هذه النقطة أو تلك فيما يتعلق بما كتبه ارتيميدور وقام هو بنقله بعد تلخيصه، فإن منحى التفسير في المستوى الثاني، وما تعلق منه بتلك الحملة بوجه خاص، لا يصب في نفس الاتجاه.

فهو لم يكن معاصراً لها فحسب، بل أنه استطاع كذلك أن يحصل على معلومات عنها من قائدها إليوس غالوس A. Gallus، الذي كان في ذات الآن صديقاً له. كما ان ما ساقه عنها، بما اشتمل عليه من تفاصيل متنوعة، له قيمته التاريخية التي زاد من أهميتها ندرة المصادر التي تطرقت إليها. إلا أنه انطوى، مع ذلك، على معلومات غير دقيقة لا يستمد بعضها

تفسيره، من وجهة النظر التاريخية، من عوامل موضوعية، وإنما على الاحرى من عوامل ذاتية من بينها، كما يذهب إلى ذلك المؤرخ محمد عبدالقادر بافقيه، محاولة الدفاع سياسياً عن سمعة امبراطوريته وعن صديقه القائد (غالوس)[4]، بعد أن انتهت في الأخير إلى الفشل. وعلى ضوء هذا التقديم العام، سنمر في سياق ما سيأتي لمضمون الترجمة، مع الإشارة إلى أن استرابون كان، قبل أن يشرع في بداية هذا النص بالحديث عن السبئيين، قد لخص في فقرة ما ذكره ارتيميدور حول بعض الأقوام الأخرى التي كانت تعيش خصوصاً في شمال غرب بلاد العرب (*):

19 – يعود البلد الذي يلي هذا للسبئيين أعظم قوم في بلاد العرب، كما أنه أخصب وأسعد جزء فيها. وهو ينتج، في الآن نفسه، المر، والبخور، والكافور، دون الأخذ في الحسبان كل من شجر البلسم الذي ينمو بصورة أفضل في الساحل، وعشب آخر شديد العبق إلا أن أريجه يتلاشى،

(*) للرجوع إلى هذا النص انظر:

Géographie de Strabon, Op. Cit., pp. 380-390

لسوء الحظ، بسرعة كبيرة. كما نجد فيه النخلة العطرة، وقصب الذريرة. أما بالنسبة إلى الحيوانات، فإنه توجد فيه ثعابين بطول سيتام واحد وبلون أحمر ساطع تقوم بالوثب على خاصرة المترجل، وتوجه له لدغات ليس لها دواء.

ويعاني السبئيون من تأثير بلد يمثل هذه الخصوبة، وهم يتسمون لذلك بالليونة والخمول [5]، ويعمد أغلبهم لكي يناموا إلى الصعود إلى الأشجار التي يهيئون من أغصانها مضجعاً لهم. كما أنهم يتركون للآخرين أمر نقل بضائعهم، حيث يعهدون بها إلى جيرانهم ليعمل هؤلاء بدورهم على تمريرها من يد إلى أخرى إلى أن تصل إلى سوريا وبلاد الرافدين. ولكونهم عرضة لآلام الرأس، وذلك من فرط ما هو مثقل به الجو الذي يعيشون فيه من روائح عطره، فإنهم يعملون على إزالتها عن طريق الاستعانة بدخان القير والشعر المتأتي من لحاء التيوس.

وتقع عاصمتهم ماريبا على ربوة تغطيها الأشجار البديعة. وهي تستخدم كمقر لملك لا يعد فحسب الحكم

الفصل في خصومات رعاياه، وإنما أيضاً من له سيادة التصرف المطلق داخل دوله. وما يحظر على هذا الملك هو ليس إلا الخروج من قصره، ما لم فإنه قد يكون في الحال عرضة للرجم من قبل الحشد المتجمهر الذي أجاز له كاهن قديم الثورة عليه في مثل هذه الحالة. ويحيا الملك والمحيطون به داخل القصر من الحياة ما هو أكثرها ليونة وأنوثة.

أما بالنسبة إلى الشعب، فإنه يوزع اهتماماته ما بين الزراعة والتجارة. ولا تقتصر تجارته على تصريف إنتاج البلد من الطيوب ، لأن التجار السبئيين يجلبون من أثيوبيا أيضاً الكثير من الطيوب ، ويرون على قوارهم الجلدية وهم يروحون ويغدون في المضيق من أجل هذه الغاية. علاوة على ذلك، فإن هذا المحصول هو من الوفرة في كل سبأ لدرجة أن الكافور، والسَّنا، وغيرهما من الطيوب تحرق فيها كما يحرق العيص والخشب في الأصقاع الأخرى للتدفئة. وينمو في سبأ أيضاً شجر الارْزِيّة Larimnum [6]، الذي يعد أزكى الطيوب أريجاً.

وقد أصبح السبئيون بفضل التجارة أثرى قوم إلى جانب الجرهيين، في كل بلاد العرب قاطبة. ويوجد لدى السبئيين، مثل الجرهيين، أثاث جد بالغ الفخامة كالآنية المصنوعة من الذهب والفضة، وكذا الأسرة، والأثافي، والأباطي، والكؤوس التي هي أيضاً جد بالغة الفخامة، والتي تتناغم، من جهة أخرى، مع روعة المساكن التي تكسى أبوابها، وجدرانها، وسقوفها بالعاج، والذهب، والفضة، وذلك مما يتم تطعيمه بالأحجار الكريمة.

هذا إذا هو أكثر ما يثير الاهتمام فيما يرويه ارتيميدور عن العرب، لأن كل ما تبقى في وصفه أما كان يلتقي فيه مع ايراتوستن، أو كان يكتفي فيه بالنقل حرفياً من غيره من المؤلفين.

20 – وكان ارتيميدور - وعقب ايراده أمثلة من أراء بعض الكتاب الذين يدعون بأنه اطلق على بحر الجنوب اسم البحر الإريتري، أو البحر الأحمر لأن مياهه تبدو مصطبغة باللون الأحمر بفعل انكسار الأشعة، سواء كانت هذه الأشعة هي تلك المنبعثة

من الشمس مباشرة، وذلك عندما يبلغ هذا الجـرم أعلى نقطة ارتفاع له، أو كانت تلك المنبعثة مـن الصخور الساحلية بعد أن صلتها الشمس بنيرانهـا حتى سخنت واحمرَّت - قـد أورد أيضـاً رأي كتزياس الكندوسـي Ctésias de Cnide [7]، الـذي يعتقد على الأحرى في وجود نبع يميل لون مياهـه التي تصب في البحر إلى اللون الأحمر، وذلك نتيجة تشبعها بالزنجفَر minium.

كما أنـه أورد كـامل مـا قـال اغـاثرخيدس Agatharchide [8]، الذي ينتمي إلى نفس موطن كتزياس، أنـه كان قد حصل عليه من فم أحد الأشخاص من ذوي الأصول الفارسية يدعى بوكسوس Boxus ، والذي يتعلق بـاريتراس فارسي كان حارساً لأحد مرابط الخيول الملكية.

فقد دفعت لبوة، أثناء ملاحقتها لنعرة كانت قد تضايقت من لسعاها بشدة، بكامل حيوانات الحارس أمامـها إلى أن وصلت إلى البحر، لا بل إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى جزيرة يفصل بينها والساحل شريط بحري. حينئذ، قام إريتراس ببناء

مركب متماسك، وسار به إلى الجزيرة التي لم تكن أبداً قد وطأها قدم إنسان قبله، فوجد أنها خالية من المنافع التي تجعل من أية رقعة أرض صالحة للعيش فيها. فاهتم لذلك، وبعد أن قفل عائداً بالقطيع الشارد، بأن يؤلف ما يكون جماعة استيطانية كانت هي التي لم تحوّل الجزيرة المذكورة فحسب إلى جزيرة آهلة بالسكان، بل وعدة جزر أخرى واقعة أيضاً في نفس المنطقة البحرية، وكذا الساحل المقابل لها. وقد أورد ارتيميدور أيضاً الرواية التي تتحدث عن أن إريتراس هو نجل فارس الذي عهد إليه بحكم كل تلك الرقعة.

ونُذكِّر بدورنا أن بعض الجغرافيين يشيرون إلى أن طول المسافة بين مداخل الخليج العربي وأقصى منطقة زراعة الكافور يصل إلى خمسة آلاف مرحلة، ولكن دون تحديد لما إذا كان هذا الجزء من الساحل يتجه جنوباً أو شرقاً. ويمدنا بعض الكتاب بمعلومة أخرى تستحق الاهتمام، وتتمثل في أنه يتم العثور في مناجم ذهب البلد على الزمرد والبريل. وأخيراً، وبحسب قول بوزيدونيوس Posidonius [9]، فإنه قد يكون هناك في بلاد العرب حتى ما هو عطر الرائحة من الملح.

21 – كان الأنباط والسبئيون، وهما أول ما نقابله من أقوام فيما وراء سوريا، يقومون بغارات متكررة على هذه الرقعة الأخيرة قبل أن يدخلها الرومان ضمن مقاطعاتهم. أما في الوقت الحاضر، فإن الأنباط والسبئيين قد أصبحوا، أسوة بالسوريين، ممن قدموا ولاءهم للرومان [10] .

وقد استمدت عاصمة الأنباط البتراء اسمها من خصوصية موقع وجودها، حيث أن الأرض التي شيدت فيها، وهي أرض منبسطة ومستوية بصورة عامة، محاطة بما يشبه الساتر الدفاعي مكون من الصخور، التي بقدر ما هي وعرة وحادة من جانبها المتجه إلى الخارج، فإنها تحتوي في جانبها الآخر المتجه إلى الداخل على وفرة من الينابيع الثمينة لإمداد المدينة بحاجتها من مياه الشرب وسقي الحدائق، ولا يعدو البلد، خارج نطاق هذا الساتر، عن كونه صحراء، لا سيما الجزء المتاخم منه لجوديه. ويتراوح طول المسافة بين البتراء وهيركو Hiéricho ، التي تعد أقرب المدن إليها من تلك الناحية، ما بين

ثلاثة إلى أربعة أيام، ويصل طــول المسافة بينها وفينيقـــون Phoenicôn ، الواقعة في الناحية المعاكسة، إلى خمسة أيام.

وللملك البتراء، الذي ينحدر دائماً من أصول ملكية نبطية، سمة خاصة، حيث أنه يعمد إلى تفويض ســلطاته إلى أحــد رفاق طفولته، الذي تمنح له صفة الوزير، والذي يطلق عليــه تسمية الشقيق. ويسود البتراء نظام تام الانســجام، ولــديَّ بمثابة دليل على ذلك ما حدثني به – وبإعجاب – صديقـــي الفيلسوف اتينودور Athénodore الذي سبق وأن زار المدينـــة. فقد وجد في البتراء مهاجرين أغراب كانوا قد حطوا فيـــها الرحال واتخذوا منها مقراً لإقامتهم، من بينهم عدد كبير مــن الرومان. وعلى الرغم مما يوجد سواء فيمــا بــين هــؤلاء الأغراب، أو فيما بينهم وسكان البلد، من نزاعات لا تنتهي، فإنهم لا يلجؤون أبداً إلى القضاء، ويعيش بعضهم مع الآخــر على الدوام في وفاق تام.

22 – وكانت الحملة الرومانية حديثة العهد، التي قادهــا اليــوس غالوس، هي التي زادت كثيراً في تعريفنــا بعجائب بلاد العرب. فقد عهد القيصر اغســطس

ذروتها عندما اعتقد بأنه يمكن الاعتماد على صداقة النبطيين الذين وعدوا بمساعدته في كل ما يقوم به.

23 – وترك اغسطس حملة غالوس تغادر على أساس هذه التطمينات غير أن هذا الأخير انساق وراء خداع سيلايوس Syllaeus [*][11]، وزير الملك النبطي، الذي وعد بأن يقوم بإرشاده بنفسه، وأن يؤمن له ما يحتاجه من مؤنة، وأن يؤازره في كل شيء بإخلاص، ثم لم يقم على العكس من ذلك إلا بخيانته، بما أنه لم يد له أبداً على الطريق الأكثر أماناً سواء على امتداد السواحل بالنسبة إلى أسطوله، أو في البر بالنسبة إلى جيشه، حيث أنه كان يقوم أما بالسير بالجيش في مسالك وعرة، أو يقوم بجره إلى أماكن ينعدم فيها كل شئ بعد دورات لا نهاية لها. كما إنه قام بجعل الأسطول يسير بمحاذاة ساحل طويل مستقيم ينعدم فيه

(*) سنشير في سياق الهوامش الملحقة بالنص إلى بعض ابرز أسماء الأعلام والأماكن الواردة في النص، وتقديم بعض التوضيحات والتدقيقات حولها.

أعداء أثرياء تسهل هزيمتهم وسلبهم. وبلغت ثقته في ذلـــك ذروتها عندما اعتقد بأنه يمكن الاعتماد على صداقة النبطيـين الذين وعدوا بمساعدته في كل ما يقوم به.

23 – وترك اغسطس حملة غالوس تغادر على أساس هذه التطمينات غير أن هذا الأخير انساق وراء خداع سيلايوس Syllaeus (*)(11)، وزير الملـك النبطـي، الذي وعد بأن يقوم بإرشاده بنفسه، وأن يؤمـن له ما يحتاجه من مؤنة، وأن يؤازره في كل شـيء بإخلاص، ثم لم يقم على العكس من ذلـك إلا بخيانته، بما أنه لم يد له أبدا على الطريق الأكـثر أمانا سواء على امتداد السـواحل بالنسـبة إلى أسطوله، أو في البر بالنسبة إلى جيشه، حيث أنـه كان يقوم أما بالسير بالجيش في مسالك وعـرة، أو يقوم بجره إلى أماكن ينعدم فيها كل شئ بعـد دورات لا نهاية لها. كما إنه قام بجعل الأسـطول

(*) سنشير في سياق الهوامش الملحقة بالنص إلى بعض ابرز أسماء الأعلام والأماكن الـواردة في النص، وتقديم بعض التوضيحات والتدقيقات حولها.

يسير بمحاذاة ساحل طويل مستقيم ينعدم فيه المأوى، ووسط الأعماق القريبة الشائكة العبور بفعل الصخور الظاهرة على وجه الماء، والتي زاد فيها المد والجذر، الذي مايزال يشكل مصدر إراعة للمراكب الرومانية، من تفاقم الخطر بصورة غريبة.

وتمثل الخطأ الأول في بناء مراكب طويلة، في حين أنه لم تكن هناك قط أية حرب بحرية قائمة، ولا يمكن البتة انتظار اندلاع إحداها، لأن العرب ليسوا بشرسين في البر على الإطلاق باعتبارهم تجار وباعة، وصلابتهم هي طبيعياً أقل أيضاً في البحر. ولم يفكر غالوس في ذلك مثلما لم يعترف بخطئه إلا لاحقاً، بعد أن عمل على بناء ما يصل إلى الثمانين من المراكب الثنائية المجاذيف Birémes ، وثلاثيتها Trirémes ، إضافة إلى الفازلات (*)، وذلك بكيلوبترا على قناة النيل القديمة.

(*) نوع من المراكب القديمة.

وكان ، بعد أن بلغ عدد وسائل النقل التي تحصل عليها مئة وثلاثين وسيلة، قد أبحر فيها ومعه نحو عشرة آلاف رجل، كلهم من المشاة الذين جرى أخذهم من الفيالق الرومانية، ومن الفرق المساعدة في مصر، التي أمدته خصوصاً بخمسمائة من اليهود، إلى جانب ألف نبطي تحت إمرة سيلايوس. ووصل إلى لوسيكومي Leucécômé ، سوق النبطيين الكبيرة، بعد خمسة عشر يوماً من العبور الشاق والبائس، وبعد أن فقد جزءاً لا بأس به من المراكب، البعض منها مع طاقمها.

غير أن ما حدث كان بفعل البحر فحسب، وبسبب صعوبات الملاحة، ولم تكن للعدو في ذلك اية يد. ويتحمل سيلايوس كامل المسؤولية في هذه الكارثة، حيث أنه كان قد أكد بخبث أن الطريق البرية إلى لوسيكومي لا يمكن قط أن يسلكها جيش، في الوقت الذي كانت تعبر فيه القوافل باستمرار طريق الذهاب والإياب، بين البتراء ولو سيكومي، دون حوادث وفي أمان تام، ومع عدد من الرجال والجمال لا يختلف في شيء عن عتاد جيش فعلي.

24 – ويبقى أنه إذا قدر لمثل هذه الخيانة أن تحدث، فـإن ذلك ناتج عن أن الملك عوبوداس Obodas ، بسبب الإهمال الذي يشترك فيه كل ملوك العرب، كـان بالكاد يهتم بالشؤون العامة، لاسيما العسـكرية منها، تاركاً لوزيره سـيلايوس أمـر تسـييرها وإدارتها. غير إنني عندما أفكـر الآن في أسـاليب سيلايوس، وطريقته في الاستعمال الدائم للمكـر والخداع في كل شيء ، فإن الفكرة التي تتبـادر إلى ذهني هي أنه كان، من خلال إرشاده للرومـان في حملتهم ومساعدته لهم في تدمير بعض حصون بلاد العرب وقبائلها، قد وضع لنفسه هدف استكشاف البلد لحسابه الخاص ليبقى السيد الوحيد فيه بعـد أن يكون الجوع، والتعب، والأمراض، مضافاً إليها اثر خدعه ومكائده، قد خلصه من وجود حلفائه.

وفي الواقع، كان جيش غالوس قد أصبح منهكاً بشـدة عند وصوله إلى لوسيكومي، وذلك من جراء التعرض للإصابة بمرضين من أمراض البلد، وهما مرضا تقرح الفـم وارتخـاء

الأطراف، اللذين تتسبب فيهما، كما يقال، النوعية السيئة للماء والأعشاب، واللذين يتسم أولهما بتلف اللثة، بينما يتسم ثانيهما بنوع من شلل الأعضاء السفلية. وهكذا، فإنه كان مجبراً، بعد أن قضى فصل الصيف في لوسيكومي، على البقاء فيها أيضاً كامل فصل الشتاء ليترك الوقت لمرضاه كي يتعافوا.

وكانت البضائع تنقل في العادة من لوسيكومي إلى البتراء، ومنها إلى رينوكولورا Rhinocolura، وهي مدينة فينيقية مجاورة للحدود المصرية، ليتم من هناك إرسالها في كل الاتجاهات. غير أن الجزء الأكبر من البضائع يصل اليوم إلى الإسكندرية عن طريق النيل، حيث صار هذا الجزء ينقل بحراً من بلاد العرب والهند إلى ميوس هورموس Myoshormos، ويعبر به بعد ذلك الصحراء على ظهور الجمال باتجاه إحدى مدن بلاد طيوه Thébaide، فقبطوس Coptos الواقعة على قناة النيل، ثم يوجه من هناك إلى الإسكندرية.

وقد استطاع غالوس أن يغادر أخيراً لوسيكومي، وأن يستأنف السير بجيشه. غير أن شدة جفاف البلد الذي كان

يعبره جعلته يعمل على حمل الماء على ظهور الجمال. وهنـــا أيضاً، كانت هذه هي إحدى حيل مرشديه الخبيثة التي اخرت خصوصاً وصوله إلى مناطق حكم ارتـــاس Arétas ، قريـــب عوبوداس. واستقبله هذا الأخير على الأقل بترحاب، وذهب إلى حد اعطائه هدايا ثمينة. غير أن سيلايوس وجد، بما لديـــه من المكر، وسيلة تثير له المتـــاعب حـــتى في هـــذه الأرض الصديقة. وهكذا، أمضى الجيش في عبورها ثلاثين يومـــاً، ولم يجد في طريقه سوى الحنطة الرومية، وندرة من النخيل، ومـــن الزبدة بدلاً عن الزيت، وذلك بسبب المسالك السيئة الـــتي تم تسييره فيها.

ولم يكن يقطن الرقعة التي اجتازها بعد الأولى مباشـــرة سوى البدو، ويتكون جزؤها الأكبر من صحراء فعلية يطلـــق عليها عاراران Ararene ، ويحكمها الملك ســـابوس Sabus . ونتيجة تضليله من قبل مرشديه الذيـــن أعطـــوه إرشـــادات خاطئة، قضى غالوس خمسين يوماً في عبور هذه الصحـــراء، قبل أن يصل إلى نجران والرقعة السعيدة التي تحيط بها، وجرى اقتحام المدينة بعد أن كان ملكها قد هرب.

وبعد ستة أيام، وصل الجيش إلى ضفاف نهـر. . .[12]، وكان في انتظاره البرابرة (*) الذين خاضوا معه معركة قتل فيها منهم عشرة آلاف رجل، وقتل اثنان من الجانب الروماني[13] . غير أن هؤلاء البرابرة كانوا بطبيعتهم قليلي الشراسة، وليس هناك ما يماثل رعونتهم في التعامل مع أسلحتهم المختلفة مثل: القوس، والرمح، والسيف، لا بل وحتى الفأس حاد الجانبين، الذي كان السلاح الأوفر عدداً.

واستولى غالوس فيما بعد على مدينة أسكا Asca التي كان ملكها قد تركها أيضاً. ثم سار إلى اثرولا Athrula فاستولى عليها دون مقاومة، ووضع فيها حامية. وعقب تزوده منها بكميات كبيرة من القمح والتمر، واصل تقدمه حتى مارسيابا Marsiaba لدى قوم الرحمانيين Rhammanites، الذي كان ايلازار Ilasar ملكاً عليهم في ذلك الحين، وقام بمهاجمة هذه المدينة، وضرب عليها الحصار مدة ستة أيام. غير أنه رفع عنها الحصار نتيجة نقص المياه لديه، ومن هناك لم يكن سوى على

(*) كانت هذه الكلمة تطلق لدى الإغريق على الغرباء الذين لا تفقه لغتهم.

بعد يومين من موطن الطيوب مثلما يفهم من روايات الأسرى.

ولهذا، استغرقت حملته ستة أشهر طوال بسبب مرشديه. وقد فهم في طريق عودته ماذا حدث، لأنه جرى أخيراً الكشف له عن غدر سيلايوس، و لأنه لم يتبع نفس المسالك في رجوعه. وهكذا، فإنه تمكن في تسعة أيام من الوصول إلى نجرانا، التي كان قد خاض فيها إحدى المعارك. ثم قادته مسيرة أحد عشر يوماً أخرى إلى موضع يقال له الآبار السبعة، لأنه وجد فيه فعلاً هذا العدد من الآبار، وعبر من هناك بقعة مسالمة تماماً قبل أن يصل إلى مشارف شاعلا Chaala، وضفة نهر مالوثا Malotha فيما بعد. وتوجب عليه عقب ذلك قطع إحدى الصحارى، إلا أنه كان لا يزال يوجد فيها بعض الآبار وموارد التزود بالماء، حتى انتهى به المطاف بالوصول إلى اغراكومي Egracômé ، التي تعد أحد المواضع البحرية التابعة لأراضي الملك عوبوداس.

واستغرقت كل رحلة العودة ستين يوماً، في حين أن رحلة الذهاب كانت قد استغرقت ستة أشهر. ومن

اغراكومي عبر مع جيشه الخليج ووصل بعد أحد عشر يوماً إلى ميوس هرموس، ثم عبر بسرعة المسافة التي تفصلها عن قبطوس، والتي غادرها بدورها متجها عبر القنال نحو الاسكندرية مع كل من تبقى له من الرجال الأصحاء ممن كان ما يزال بالإمكان نقلهم. ولم يكن قد فقد البقية تحت ضربات العدو، إذ أنه لم يخسر سوى سبعة من رجاله في مختلف مواقع القتال، وإنما بفعل الأمراض، والتعب، والجوع، إضافة إلى أخطاء مرشديه المتعمدة، مما نتج عنه في الجملة عدم الاستفادة من الحملة كما يجب في التعرف على جغرافية البلد.

أما بخصوص سيلايوس المجرم الحقيقي، وعلى الرغم من تأكيداته بالولاء، فإنه لقي عقابه في روما التي ضربت فيها عنقه، لأنه لم تثبت عليه فحسب الخيانة فيما حدث أخيراً، بل ثبتت عليه أيضاً عدة أعمال اساءة سابقة[14].

25 – قلنا أن بلد الطيوب ينقسم إلى أربعة أقسام . ويتم الحصول على البعض من الطيوب المختلفة التي يدين باسمه لها، مثل البخور والمر، من الأشجار بأتم معنى الكلمة، في حين

أنه يحصل على الكافور من مجرد شجيرات، وأنه يؤتى بالسَّنا من ضفاف البحيرات والمستنقعات.

وتتكون العربية السعيدة بالاستناد إلى تقسيم مغاير من خمس فئات، تضم أولاها المحاربين المكلفين بضمان الأمن العام، وثانيتها المزارعين الذين يمدون سائر البلد بالقمح، وثالثتها الحرفيين، في حين أن رابعتها وخامستها هما اللتان تتولى إحداهما إنتاج المر والأخرى البخور، هذا من دون ذكر لما تشترك كلتاهما في إنتاجه من سنا، وكافور، ونرد Nard [15]. ولا يمكن لأحد أن ينتقل من فئة إلى أخرى، ويجب على كل فرد أن يظل مرتبطاً بمهنة أبيه. ولا تشرب في البلد أية خمرة أخرى عدا خمرة شجرة النخيل.

ويتم دائماً تقديم الاخوة على الأبناء. وحق المولود البكر Primogéniture في الألوية هو الحق الذي لا تضبط من خلاله الخلافة على العرش فحسب، بل ونقل كافة مسؤوليات الحكم أو القضاء بصورة عامة. والملكية المشتركة موجودة داخل نطاق أفراد العائلة الواحدة جمعاً، غير أنه ليس ثمة سوى رب واحد للعائلة هو أكبرها سنا.

هوامش النص :

(1) جغرافي اغريقي من افسوس عاش في فترة واقعة بين القرن الثاني والقـــرن الأول قبـل الميلاد. وقد قام هذا الجغرافي، وبغرض تدقيق المعلومات الواردة في مؤلفات من سبقه من الجغرافيين، بعدة رحلات تذكر بعض المصادر أنها ظلت في إطار البحر المتوسـط، بينما تذهب بعض المصادر الأخرى إلى أنها تجاوزت ذلك لتشمل البحـر الأسـود، والبحر الأحمر، ومناطق من المحيط الهندي. وكان قد صنف على ضوء ما توفر لديـه من حصيلة معرفية مؤلفاً تكون من أحد عشر مجلداً فقدت كلها خلى بعض القطـع حفظها استرابون، وماركيان، وغيرهما من الكتاب القدماء، وجمعها هدسون في كتابة المعروف بجغرافية هدسون المطبوع سنة 1698 في اكسفورد، وترجمـة دومولـن إلى الفرنسية. أنظر بطرس البستاني، مصدر سابق، مج 2، ص794، وكذا:

Micropaedia of the New Encyclopaedia Britannica. Op. Cit., vol. 1, p. 599.

(2) عاش هذا القيصر، واسمه الفعلي اوكتافيوس، في الفترة مابين 63 ق.م. – 14م. وبـالنظر إلى ما قام به من أعمال أسهمت في توطيد حكم الامبراطورية الرومانية ومد نفوذها، فقد كان أول القياصره الذين منحهم مجلس الشيوخ لقب امبراطور (قائد عام)، كمـا أنه منح عدة القاب أخرى منها اللقب الذي نعت به في سياق هـذا النـص وهـو "اغسطس " أي المبجل. أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، مصدر سـابق، ج 1 ، ص .175

(3) محمد عبدالقادر بافقيه، مرجع سابق، ص 39.

(4) نفسه ، ص 84.

(5) الملاحظ أن بعض عناصر هذا الطرح لا تلتقي حتى مع ما سيذكره ارتيميدور نفسه بعد ذلك بفقرة من أن الشعب يوزع اهتماماته ما بين الزراعة والتجارة . . . إلخ.

(6) جنس شجر يضم عدة أنواع وينتمي إلى الفعلية الصنوبرية. أنظر: معجم الشـــهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مصدر سابق، ص402.

(7) طبيب ومؤرخ اغريقي ولد في كندوس سنة 416 ق. م. تقريباً، وعرف بمؤلفيه حـــول مملكة فارس والهند اللذين استعان في وضعهما بالمعلومات التي جمعها أثناء إقامتـــه في فارس، وعمله لفترة طويلة كطبيب في بلاطها الملكي. وهذان المؤلفان هما مما يدخـــل أيضاً في تعداد المؤلفات المفقودة. أنظر :

Micropaedia of the New Encyclopaedia Britannica, Ibid., Vol. 3, pp. 771- 772.

(8) جغرافي إغريقي من كنيدوس في آسيا الصغرى، أخذ إسمه في الانتشار بداية من حـــوالي سنة 130 ق.م. وضع أكثر من مؤلف لم يبق منها سوى قطع يصف فيـــها البحـــر الاريتري. انظر : بطرس البستاني، مصدر سابق، مج 3، ص774.

(9) فيلسوف اغريقي (135 ق.م – 51 ق.م) اهتم بالبحث العلمي، إلى جـــانب الترحـــال حيث قام باسفار كثيرة شملت اسبانيا، وإيطاليا، وبلاد الغال . . إلخ. أنظر :

Micropaedia of the New Encyclopaedia Britannica, Ibid., Vol. 9, p. 636.

(10) شرع استرابون بعد هذه الفقرة مباشرة بالحديث عن الحملة الرومانية وأهدافها، ولـــو كان السبئيون قد أصبحوا فعلاً من بين من قدم الولاء للرومان، فهل كان ســـيجري القيام بمثل هذه الحملة؟

(11) أشار استرابون في سياق حديثه هنا عن الحملة الرومانية إلى بعـــض أسمـــاء الأعـــلام والأماكن التي تحتاج إلى تدقيق أو توضيح. وسنقدم فيمايلي بعض التفاصيل حـــول عدد منها:

سيلايوس: هو صالح في نظر بعض الباحثين، بينما يرى البعض الآخر بالاســـتناد إلى النقوش النبطية أنه "سُلى"، أو "شُلي" كما كتب بالارآمية.

عوبوداس: عبادة.

إرتاس: حارثة.

ايلازار: الشرح اوايل شرح بن سمه علي يفن.

لوسيكومي: يعتقد بعض الباحثين أنها الحوراء.

رينوكولورا: العريش.

ميوس هورموس: ميناء أسسه بطليموس الثـــاني (308-246 ق.م) علـــى الشـــاطئ الأفريقي للبحر الأحمر، وذلك بغرض تشجيع التجارة البحرية لمصر من هذه الناحية.

بلاد طيوه: بلاد وجدت بصعيد مصر، ولعل المدينة التي أشار إليها اســـترابون هـــي المدينة المسماة أيضاً بمدينة طيوه، أو "ثابا" كما عرفت في اللغة القبطية. وقد اتخـــذت المدينة قديماً موقعاً يطل على ضفتي نهر النيل، وشكلت في البداية قاعدة لمصر العليا، ثم صارت عاصمة مصر بأسرها ولبثت كذلك دهراً طويلاً.

قبطوس: قفط اوكوفت Kuft ، وهي إحدى مدن أعالي مصر، وتقع علـــى الضفـــة الغربية من نهر النيل إلى الأدنى من مدينة الأقصر، وتتبع حالياً من الناحيـــة الإداريـــة محافظة قنا.

اسكا: نشق، وسكانها الاشوق بادغام النون، وهـــي تعـــرف في الوقـــت الحـــاضر بـــ"خربة البيضاء".

اثرولا: يثل، وسكانها الأثول وفي الهمز تصحيف، وتعـــرف هـــذه المدينـــة حاليـــاً بـــ"براقش".

نجرانا: نجران.

مارسيابا: مارب.

استمدت هذه البيانات من بعض الملاحظـــات الـــواردة في القســـم الأول، ومـــن ملاحظات د. يوسف محمد عبدالله على مسودة هذا العمل. كمـــا تـــم الرجوع في ذلك إلى: محمد عبدالقـــادر بافقيه، مرجـــع سابـــق، ص ص 82-85. والموســـوعة العربية الميسرة، مصدر سابق، ج1، ص111 و ص685، ومج 2، ص1810، وبطـــرس البستاني، مصدر سابق، مج9، ص 127، ومج 11، ص 387.

Micropaedia of the New Encyclopaedia Britannica, Ibid., vol. 9, p. 835.

(12) اسم النهر منقوص في النسخة الأصلية حسب مترجم هذا المؤلف إلى اللغة الفرنســـية. وقد ذكر د. يوسف محمد عبدالله في ملاحظاته على مسودة هذا العمل أن النهر المعني هنا هو وادي الخادر بالجوف.

(13) هناك في هذا السياق، وكما اشار إلى ذلك المؤرخ محمد عبدالقادر بافقيه، نوع مـــن

المبالغة المكشوفة والساذجة، على اعتبار أنه يصعب - إذا افترضنا صحة الأرقام التي أوردها استرابون - تصور التحام الحملة في هذه الواقعة مع جيش سقط منه كل ذلك العدد، دون أن يسقط من صفوفها سوى شخصين. أنظر: محمد عبدالقادر بافقيه، نفس المرجع، ص 83.

(14) لا يفصح تحميل الوزير النبطي سيلايوس ما انتهت إليه الحملة في الأخير من فشل ذريع عن كامل الحقائق، لاسيما دور المحارب اليمني. فالطريق كانت مفتوحة أمام الامبراطور الروماني اغسطس لتجريد حملة أخرى والسيطرة على العربية السعيدة وكنوزها، بعد أن تم التخلص من الوزير "الخائن"، والتعرف على أقرب الطرق إليها، بالإضافة إلى اكتشاف جهل المحارب اليمني بفنون القتال والتعامل مع الاسلحة بحسب الرواية التي قدمها استرابون. غير أن من المرجح، وعلى العكس مما جاء في نص استرابون، أن التصدى للحملة كان من الشدة لدرجة أنه لم يسهم في فشلها فحسب، وإنما أسهم أيضا في غض النظر عن التفكير في معاودة مثل هذه المغامرة مجددا. لمزيد من التفصيل حول هذه النقطة، انظر: محمد بن علي الاكوع الحوالي، اليمن الخضراء مهد الحضارة، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1971م)، ص ص 394-395.

(15) كلمة النرد هي الاقتباس السرياني العربي لكلمة ناردينون Nardinon اليونانية، وتشير إلى أحد نباتات الفصيلة الناردينية التي كان يستخرج من جذور بعض أنواعها عطرا مشهورا. أنظر: معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مصدر سابق، ص766.

الخاتمة

إن تركيبة هذا الكتاب متكاملة رغم البون في اللحظة التاريخية لإنتاج قسميه. فنص رودنسون نص يخلص صورة بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية برمتها معتبرا الكتب المقدسة اليهودية و المسيحية جزءا من تلك المصادر. و قد وفر على المختصين مشقة البحث و عناء التنقيب و زودهم بخلاصة شملت حقب التاريخ القديم بجوانبها الحقيقة والأسطورية ، التاريخية و الدينية.

أما المختارات فقد تركزت على أهم النصوص وأكثرها ارتباطا ببلاد اليمن و التي حررها أساطين التدوين التاريخي في

تلك الفترة. و بهـذا حدث تكامل بين الدراسـة النظريـة والنص العملي .

و الواقع أن هذا الكتاب هو المرحلة الأولى لعمل ننـوي مواصلته في جمع و ترجمة و تحقيق ما كتبه الآخرون عن بـلاد اليمن خاصة و بلاد العرب عامة. و نقصد ببلاد اليمن وببلاد العرب المفهوم القديم لهذين اللفظين أي سكان الجزيرة العربية بجنوبها و شمالها من منطلق تاريخي وعلمي محض.

و كما يتضح للقارئ المختص فإن النصوص التي قدمـت إلى الآن تركزت على بعض ما كُتِب عـن بـلاد اليمـن باعتبارها آنذاك من أهم مواطن الحضارة الإنسانية القديمـة وباعتبارها مركزا تجاريا ليس له نظير.

إن الجهد الذي بذل في جمع نصوص المختارات وتحقيقـها و ترجمتها، بكل ما قد يؤخذ عليه من القصور ، هو جـهد يدركه المنصف من المختصين و يعلم معه مدى حرصنا علـى أن تصله المادة واضحة مشروحة، و أن يُلَمّ شتاها من مظـان عدة متناثرة في الزمان و المكان.

و امتداد هذا العمل و اكتمال حلقاته بترجمة و تحقيق ما كتبته المصادر الكلاسيكية عن بقية أرجاء بلاد العرب مرهون بمدى استجابة و تشجيع الجهات البحثية في اليمن والجزيرة العربية للمترجمين للدأب على جمع المادة العلمية ومواصلة العمل على نفس المنوال.

و بذلك تتوفر المادة التاريخية الهامة التي رصدت تطور العلاقات التجارية و الحربية بين الشرق و الغرب. و لا يخفى على القارئ ما لذلك من أهمية في تبصر الماضي، و المقارنة بما يجري في الحاضر، واستشراف ما سيأتي في المستقبل.

و إذا كانت ثروة البخور و الطيوب و الكافور في الماضي قد جعلت عرب الجنوب من أغنى الشعوب و أكثرها رفاها فلا شك أن ثروة البترول اليوم تشبه تلك الثروة بما جلبته من الرفاه على سكان بلاد العرب، و إن أطماع الغرب بها تشبه أطماع الحضارتين الإغريقية والرمانية بما كان لدى عرب الماضي.

لن نطيل في التأويل و لن نلج متاهات المقارنة للأحداث و نترك ذلك للمختصين و المهتمين باستقاء العبر ودروس

التاريخ التي قلما يستفاد منها. و حسبنا أن نهتم بجمع هـــذه النصوص و بتقديمها باعتبارها جزءا هاما من الحقيقة التاريخيــة في سمات علاقاتنا بالغرب بغثها و سمينها.

و بتقديم هذا العمل للقارئ ، المختص أو غير المختــص، نحسب أننا قد أسدينا خدمة متواضعة تبرز أهميـــة الحضـــارة اليمنية القديمة و دور الشعب اليمني في العصور الغابرة مـــن منظور غير ذاتي و من زاوية غير نرجسية.و كما يقال" الحكم ما حكمت به الأعداء" . ويحدونـــا الأمـــل في الاســـتمرار بالتنقيب و البحث في المظان القديمة الأخرى وتقديمها تباعـــا لخدمة الباحثين و المختصين وسائر القراء .

قائمة المصادر والمراجع

(1) بطرس البستاني، دائرة المعارف، (بيروت: دار المعرفة، 1877–1900)، مج2، 800ص، مج 3، 860 ص ، ومج 8 ، 768ص ، مج9، 760ص، مج 11، 755ص.

(2) عبدالولي أحمد الخليدي، دراسة أولية على الغطاء النباتي الطبيعي لمنطقة تعز وما حولها، في: حلقة العمل الوطنية الأولى حول المصادر الوراثية النباتية في اليمن، (حلب: المعهد الدولي للمصادر الوراثية النباتية، 1997)، 212ص.

(3) علي سالم باذيب، النباتات الطبية في اليمن، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، 1991م) 191 ص.

(4) محمد حسن آل ياسين، معجم النبات والزراعة، (بغداد: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ج1، 1986)، 607ص.

(5) محمد عبدالقادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973م) 291ص.

(6) محمد علي الأكوع الحوالي، اليمن الخضراء مهد الحضارة، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1971م)، 542ص.

(7) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، (بيروت: دار الفكر، 1979م)، مج 1، 800ص، مج 8 ، 800ص.

(8) مطهر علي الإرياني، في تاريخ اليمن: نقوش مسندية وتعليقات، (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط 2، 1990)، 528ص.

(9) د. يوسف محمد عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بحوث ومقالات، (صنعاء: وزارة الإعلام والثقافة، سلسلة مشروع الكتاب، ج2، 1981م)، 139ص.

(10) معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، (بيروت: مكتبة لبنان، ط3 ، 1988م)، 907ص.

(11) الموسوعة العربية العالمية، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996) مج 12، 389ص، ومج 16، 740ص، ومج 17، 711ص.

(12) الموسوعة العربية الميسرة (بيروت: دار نهضة لبنان للطبع والنشر، 1981)، ج1 ، ج2، 2000ص.

(13) الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط1، 1992م

(14) Bibliothéque Historique de Diodore de Sicile, Trad. par A. F. Miot, (Paris: L'imprémerie Royale, 1834), Tome 1, 495p. et Tome 2, 636p.

5) F. Gaffiot, Dictionnaire Latin – Français, (Paris: Hachette, 53 éd , 1999), 1719p.

6) Géographie de Strabon, Trad. par Amédée Tardieu, (Paris: Librairie Hachette et Cie, Tome 3, 1880), 496p.

7) Historiens Grecs 1, Hérodote et Thucydid, Trad. par A. Barguet et Denis Roussel, (Paris: Gallimard, 1964), 1824p.

18) Le Petit Robert 2 , Dictionnaire Universel des Noms Propres, (Paris: Le Robert), 1987, 1852p.

19) Le Petit Larousse, Larousse, Paris, 1985.

20) Joseph Chelhod et al., L'Arabie du sud: Histoire et Civilisation, (Paris: Maisonneuve et Larose, Tome 1, 1984), 281p.

21) Micropaedia of the New Encyclopaedia Britannica, (Chicago: Encyclopaedia Britannica Inc., 1985), Vol. 1, 380p., Vol.3, 380p. Vol, 4,380. p. Vol.5, 982p., Vol. 7,1044p. et Vol. 9, 1046p.

22) The New Americana Encyclopadia, (Brussels: Deluxe Edition, 1973) vol 7, pp. 2253-2632, Vol.16, pp. 5673-6052.

المحتويات

الصفحة

سلسلة كتاب الثقافة

- كتاب الثقافة، إصدار شهري ترعاه وزارة الثقافة والسياحة.
- الهدف من إصدار السلسلة إثراء الساحة الثقافية ورفد الحركة الفكرية والعلمية بالجديد في ميادين البحث والدراسات في مختلف المعارف.
- سوف تكون السلسلة نافذة مفتوحة على كافة التخصصات العلمية والإنسانية وسيعرض كل ما ينشر فيها على ذوي الاختصاص بحيث يراعي أن تتسم المادة المنشورة بالموضوعية والدقة والتوثيق. وإذا كانت المادة في العلوم البحتة يراعى أن تبسط بحيث تلبي تطلعات أكبر شريحة من القراء.
- تنشر الكتب المؤلفة أو المترجمة أو المحققة التي تستوفي الشروط العلمية للنشر وترسل المادة مطبوعة على الحاسوب أو مكتوبة بخط واضح ومعها نبذة عن الكاتب أو المترجم أو المحقق وعنوانه.
- لا تزيد حجم المادة المرسلة الينا عن 400 صفحة قطع متوسط ولا يقل عن 200 صفحة.
- ترحب السلسلة بإقتراحات التأليف أو الترجمة أو التحقيق ويمكن إبرام عقود لإنجازها كما لدى السلسلة قائمة كتب للترجمة أو التحقيق يمكن التعاقد عليها وفقاً لقواعد المكافأة المعمول بها.
- عنوان السلسلة: صنعاء الجمهورية اليمنية
- تلفاكس: 240373
- ص . ب : 2552

الآفاق للطباعة والنشر
تلفون : ٦٧٠٣٥٢ ـ فاكس : ٦٧٠٣٥٦ ـ صنعاء


كتاب الثقافة
بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية
2001 / 1
المشرف العام:
د. عبد الملك منصور
رئيس التحرير:
عادل محمد قائد
كتاب
الثقافة
كتاب ثقافي شهري يصدر عن وزارة الثقافة والسياحة
الجزء المجاور للرقعة الصحراوية المحرومة من الماء التي أتينا على ذكرها هو جزء مختلف تماما، ويستحق لوفرة ثماره وما عدها من الاطياب التي ينتجها أن يطلق عليه بحق اسم العربية السعيدة. فهنا نجد قصب الذريره، والسُعد، وخامة غيرهما من الأطياب المختلفة، وكذا الشجيرات من تلك التي لأوراقها رائحة شذية، وتلك التي تحمل قطرات نسغها مختلف الاصماغ العطرية.
وهناك، وفي اقاصي بلاد العرب، يوجد منشأ المر، ذلك البخور الأثير عند الألهة، الذي يتم تبادله في كافة أنحاء الأرض.
ديودور الصقلي
القرن الأول قبل الميلاد
1
2001
صنعاء - الجمهورية اليمنية
ص. ب: 2552
هاتف / فاكس: 967-1-24373
السعر 150 ريال